مجلة
معهد المخطوطات العربية

المجلد التاسع — الجزء الأول

ذو الحجة ١٣٨٢ هـ

مايو ١٩٦٣ م

مجـــلة

معهد المخطوطات العربية

مجلة ثقافية تصدر عن معهد المخطوطات فى جامعة الدول العربية
وتعنى بشئون المخطوطات والوثائق العربية وتاريخها

تصدر فى أول مايو وأول نوفمبر من كل سنة

الاشتراك السنوى : ١٠٠ قرش مصرى عدا أجرة البريد

المراسلات والمقالات ترسل باسم

مدير معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية

ميدان التحرير — القاهرة

صورة الغلاف : هدهد ورخمة ودجاجة من مخطوطة كتاب الحيوان
للجاحظ — مخطوطة مكتبـــة الامبروزيانا بميـــلانو — إيطاليا .

الخليـــل بن أحمد

صاحب « العين »

للدكتور عبد الله درويش

الأستاذ المساعد بكلية دار العلوم

ما من شك لدى اللغويين وأصحاب الطبقات أن الخليل بن أحمد يعتبر الرائد الأول لعلم « المعجميات » فقد كانت ثقافته الواسعة وبراعته الرياضية وأذنه الموسيقية ، مما جعله ذا عقلية ابتكارية خلاقة فى مجال البحث اللغوى والقياس النحوى . إلى جانب ميدان العروض والصوتيات .

ولقد كان اختفاء مخطوطة كتاب « العين » حقبة طويلة من الزمن مثاراً للقيل والقال حول الكتاب ، وحول حقيقة مؤلفه بالمعنى الكامل للتأليف ، وإن لم يتطرق الشك إلى حقيقة هامة : وهى أن الخليل أول من فكر فى تأليف معجم للغة العربية ، وأنه بنفسه قد وضع المنهج ورتب الأبواب — وإنما الخلاف فى تفصيل ما وراء ذلك من حشو المفردات .

ولقد ساعد الحظ على اكتشاف المخطوطة . فعثرت عليها أثناء إقامتى فى « لندن » إذ كان لا بد لى من الاطلاع عليها لإتمام بحث موضوع أطروحتى لدرجة الدكتوراه . فعثرنا على نسخة فى بغـــداد نقلت صورتها على « مايكروفيلم » إلىّ فى لندن . ثم عثرت على نسخة أخرى فى ألمانيا بجامعة توبنجن ، وهى منقولة عن نسخة بالكاظمية .

وبعد عودتى للقاهرة ، كان لا بد لتحقيق الكتاب من الحصول على

نسخة الكاظمية ، لأنها أقدم تاريخا من زميلتيها ولأنها أصل واحدة منهما .

فسافرت إلى بغداد عام ١٩٥٩ م وهناك صورت نسخة الكاظمية وأصبح فى حوزتى ثلاث مخطوطات كاملات لا تختلف الواحدة عن الأخرى إلا بمقدار ما تختلف أى نسخة عن أخرى بسبب التصحيف أو التحريف أو نقل النساخ أو وهمهم . .

هذا كله بجانب قطعة تمثل قسما صغيرا من أول الكتاب كان الأب أنستاس الكرملى قد طبعها على عجل عام ١٩١٣ . ولم يقدر لها الذيوع .

ولنترك الحديث عن هذه النسخ لنتحدث عن الخليل .

نشأته

هو أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن فرهود بن فهم بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد — على أشهر الروايات .

ويقول النسابون بأن الخليل بن أحمد فراهيدى أزدى ، وقد ولد الخليل المكان الذى يعرف حالياً بإمارة « عُمان » على شاطئ الخليج فى جنوب الجزيرة العربية .

ونشأ بالبصرة وترعرع فيها . وكان مولده على أرجح الروايات عام ١٠٠ هـ . ويلقب الخليل بالبصرى . فرغم ولادته خارجها إلا أن نشأته بها غلاماً وتلقيه العلم بها تلميذاً ورياسته لها شيخاً جعلته يشتهر بهذا اللقب .

والخليل من اللغويين القلائل الذين انحدروا من أصل عربى صرف . فلم يكن من الموالى كما كان غيره من أمثال سيبويه تلميذه وأبى عمرو بن العلاء أستاذه .

وشأن العباقرة فى كل أمة لم يكن الخليل على حظ من اليسار ورفاهة العيش ، وقد كان بهذا راضياً قانعاً ، ويدل على ذلك رفضه أن يكون مؤدباً

لولد الأمير ، على حين كان غيره من معاصريه يتهافتون على مثل هذا المنصب ، فقد كتب الخليل إلى سليمان بن على حينما طلب منه ذلك يقول :

أبلغ سليمان أنى عنه فى سعة وفى غنى غير أنى لست ذا مال

شخصيته العلمية

لقد ظلت أفكار الخليل ونظرياته وتعليلاته وابتكاراته نبراساً وهدياً لعلماء اللغة والنحو والصرف والعروض ، والعلوم اللسانية بصفة عامة .

ويكفيه أنه خرج فى مدرسته تلاميذ نوابغ من أمثال سيبويه والنضر وغيرهما . وإن كثرة نقل سيبويه فى « الكتاب » عن الخليل جعلت بعضهم يعتبرون أن سيبويه ليس المؤلف الحقيقى للكتاب . وإنما كانت مهمته أن يجمع فيه رأى من سبقه من النحاة . ولكن الواقع يخالف ذلك . فسيبويه وإن اعتمد اعتماداً رئيسياً على أستاذه الخليل حتى لم تخل صفحة من صفحات كتابه من الحكاية عنه . إلا أن شخصية سيبويه واضحة فى كتابه .

هذا ولم تقتصر براعة الخليل على علوم اللغة وحسب ، بل كان بارعاً فى الموسيقى والنغم . وقد ثبت الإجماع على أن الخليل هو الذى ابتكر علم العروض وافياً كاملا على غير مثال سابق .

وكانت التفعيلات التى استعملها الخليل كموازين للشعر ، وتقطيع الأبيات على حسب تلك الموازين الذى يؤدى أحياناً إلى شطر الكلمة الواحدة أو ضم كلمة مع أخرى لتكوّن وحدة عروضية معينة ، كانت هذه الأشياء الجديدة على اللغويين الأوائل أشبه شىء بالألغاز .

وبالإضافة إلى ما سبق نجد أن المراجع تدلل على براعته فى علم الحساب وسبقه زمانه وذلك أنه وضع محاولة ابتكر فيها وضع نظام حسابى خاص يكون من السهولة بحيث لو عرفته الجارية وذهبت إلى السوق فإنه لا يستطيع أحد أن يغالطها .

وقد ذكرت لنا كتب الطبقات بعضاً من مؤلفات الخليل الأخرى التى لم يعثر عليها حتى الآن . منها : النقط والشكل ، والنغم ، والعروض ، والشواهد ، والإيقاع ، والجمل — وفى مكتبة بودليان بأكسفورد مخطوط من ورقتين ، ينسب للخليل ، وقد رأيته ، وهو قطعة من كتاب بدون عنوان وأوله قال الخليل . وهو يتناول بعض مسائل صرفية تتعلق بالأوزان وبعض أبيات من الشعر فى فضل العلم والتعلم .

وقد ذكر فهرس مكتبة برلين أنه توجد قطعتان كبيرتان من كتاب العين وقد صورتهما وتبين أنهما من المحكم لابن سيده[1] .

وقد اقتصرنا فى ترجمة الخليل على هذا القدر لأن الأقلام تناولتها ، وما ذكرناه هو خلاصة وافية لكل ما قيل فيها . ولكن أحداً لم يتصد بالتفصيل — إلا قليلا — لتحقيق المسألة الشائكة « هل يعتبر الخليل المؤلف الحقيقى لكتاب العين؟ » ولذا سنسهب فى ذكرها أملا أن نوفيها بعض حقها .

الخلاف حول كتاب العين

الاهتمام بالعين :

لقد كثر الجدل والمناقشة حول كتاب العين خصوصاً من ناحية تأليفه ومؤلفه ، وإنا لنلحظ أن هذا الجدل قد امتد من وراء العصور إلى عصرنا الحالى ، حتى بعد المحاولة الجريئة التى قام بها الأب أنستاس الكرملى حين قام بطبع قسم من العين سنة ١٩١٣ .

وقد اهتمت أكثر من جهة بهذه المسألة ، فمثلا نجد المجمع العلمى العربى بدمشق يفسح المجال للبحث حول هذه المشكلة فيخصص جانباً كبيراً من

---

(١) علمنا مؤخراً أن البعثة المصرية لتصوير مخطوطات اليمن قد عثرت على كتاب التفاحة فى النحو للخليل بن أحمد وبالرجوع إليها فى دار الكتب وجدنا أنها مكونة من تسع ورقات وأنها تشمل على أوليات النحو بأسلوب مبسط جداً ليس فيه روح ولا طريقة الخليل .

«مجلته»[1] لذلك ، فقد نشر فيها الأستاذ يوسف العش بحثاً مطولا فى ثلاثة أعداد عنوانه « أولية المعاجم العربية » ، ولم تشغل هذه المسألة بال المشتغلين بالآداب العربية من أبناء العروبة فحسب بل تعدتهم إلى المستشرقين . فهذا المستشرق الألمانى « براونلتش » ، يعالج هذه المسألة فى مقال مطول بإحدى المجلات الأوربية[2] ، وإذا رجع بنا الزمن إلى الوراء فإننا نجد فى العصور الوسطى السيوطى فى المزهر قد عقد فصلا مطولا جمع فيه آراء كثيرة حول هذه المسألة[3] ، وبجانب هؤلاء نجد أيضاً كثيراً من اللغويين قد أدلوا بنصيبهم فى تلك المشكلة .

الآراء حول كتاب العين :

وإن الخلاف حول هذه المسألة يتلخص فى وجهات النظر الآتية :ـ

(أولا) الخليل لم يؤلف كتاب العين ولا صلة له به .

(ثانياً) الخليل لم يضع نص كتاب العين ولكنه صاحب الفكرة فى تأليفه .

(ثالثاً) الخليل لم ينفرد بتأليف كتاب العين ولكن كان لغيره أيضاً عون فى ذلك .

(رابعاً) الخليل عمل من كتاب العين أصوله ورتب أبوابه وصنف مواده ولكن غيره حشا المفردات .

(خامساً) الخليل عمل كتاب العين بمعنى أنه ألفه ثم روى عنه .

والآن نتعرض بالتفصيل فنوضح جميع وجهات النظر هذه لنناقش بعد ذلك القائلين بها .

---

(١) مجلة المجمع العلمى سنة ١٩٤١ . (٢) مجلة إسلاميات الألمانية ج ٢ .

(٣) وآخر من ناقش هذه المسألة من العلماء القدامى هو صديق خان فى كتابه « البلغة » ولكنه لم يتجاوز مقالة السيوطى .

الرأى الأول : فأما الذين لم يعترفوا بكتاب العين فيذكر لنا السيوطى بعضاً منهم يتمثل فى أبى على القالى وأستاذه أبى حاتم .

واعتمد القائلون بهذا على أن الكتاب ليس له إسناد ، وأنه لم يكن معروفاً لتلاميذ الخليل بعد موته وأن اللغويين فى البصرة التى نشأ فيها الخليل لم يقتبسوا من كتاب العين فى كتبهم .

وهذا الرأى المنسوب إلى أبى حاتم والمزعوم أنه رأى القالى أيضاً لا يعتمد إلا على الرواية الصرفة وهذا يدل على أن أصحاب الطبقات اعتمدوا كلياً على الروايات المختلفة دون اعتبار آخر . وإلا فقد كان أمامهم كتاب العين ليحكموا عليه منه وكان أمامهم معجم القالى[1] ليعرفوا رأيه فى العين منه[2] .

الرأى الثانى : أما من قال إن الخليل صاحب الفكرة فقط ولم ينكروا وجود العين كلية . فأولهم الأزهرى صاحب التهذيب .

ولقد افترض الأزهرى هذا الفرض ثم أخذ يؤيده بمختلف الحجج التى ترضيه هو . فنجد أنه فى مقدمة كتابه قد ذكر استعراضاً للغويين الذين قسمهم إلى مجموعتين : الثقات وغير الثقات ، وقال عن المجموعة الثانية إنهم قد خلطوا فى كتبهم بين الصحيح والفاسد لدرجة أنه يصعب التمييز بين النوعين . وقد عد الأزهرى فى قائمة هؤلاء الليث الذى وصفه بأنه وضع كتاب العين ونسبه للخليل بن أحمد ، وزيادة على ذلك فإن الأزهرى قد ذكر الخليل فى قائمة اللغويين الثقات ، ولكنه عند ما أخذ يترجم لكل منهم لم يوف الخليل حقه فى ذلك مع أنه اضطر إلى ذكره عرضاً عند الترجمة لتلاميذه فقد ذكر مثلا عند سيبويه أنه جالس الخليل بن أحمد وأخذ عنه مذاهبه فى النحو . كما ذكر عند ترجمة النضر بن شميل أنه كان من أبرع تلاميذ الخليل .

---

(١) من العجيب أن القالى اعترف بتأليف الخليل للعين حين نقل عنه وستأتى مناقشة أكثر فى هذه المسألة .

(٢) ولعل هذا هو ما شجع واضعى الحديث فى أن يضعوا ما يشاءون على الرسول كذباً ويخترعوا له الإسناد الكامل مع وضوح تعارض نصوص هذا الحديث الموضوع .

والأكثر من هذا أن الأزهرى كتب لنا ضمن مراجعه فى مقدمته ، أن كتاب العين من بين هذه الكتب ولكنه سيقتبس عنه بشىء من التحفظ نظراً لوجود بعض الأخطاء فيه ثم زاد على هذا بأن ذكر أن الأخطاء التى فى العين إنما هى من الليث ، ويبدو أن الأزهرى كان يرى فى بعض الأوقات أن الكتاب للخليل ولكنه عند ما صنف مقدمته للتهذيب أراد أن ينسى الخليل لحاجة فى نفس يعقوب . ولكن برغم هذا قد أفلت لسانه بما يفيد أن الكتاب جميعه ليس لليث فقد روى ذلك دون تشكك منه فى الرواية إذ قال : قال الحنظلى : لقد مات الخليل قبل أن يتم كتاب العين فأتمه الليث . ولنذكر هنا نص عبارة الأزهرى :

« وإذ[1] فرغنا من ذكر الإثبات والثقات من اللغويين فلنذكر بعقب ذلك أقواماً اتسموا بسمة المعرفة أودعوا كتبهم الصحيح والسقيم وحشوها بالمزال والمصحف المغير الذى لا يتميز ما يصح منه مما لا يصح إلا عند النقات المبرز والعالم الفطن ولنحفظ اعتماد ما دونوه . والاستبانة إلى ما ألفوه . فمن المتقدمين الليث بن المظفر الذى نحل الخليل بن أحمد تأليف كتاب العين جملة لينفقه باسمه ويرغب فيه من حوله . وأثبت لنا عن إسحاق ابن إبراهيم الحنظلى الفقيه أنه قال : كان الليث بن المظفر رجلا صالحاً . ومات الخليل ولم يفرغ من كتاب العين فأحب الليث أن ينفق كتابه كله فسمى لسانه الخليل . فإذا رأيت فى الكتاب سألت الخليل بن أحمد أو أخبرنى الخليل بن أحمد فإنه يعنى الخليل نفسه . وإذا قال : قال الخليل فإنما يعنى لسان نفسه » .

الرأى الثالث : أما من قال إن الخليل لم ينفرد بتأليف الكتاب ولكن قد اشترك غيره معه فقد مال أغلبهم إلى أن الليث هو الذى ساعد فى إتمام الكتاب ، ومرة أخرى نجد التهمة تلصق بنفس الشخص فلم يستطيعوا أن

---

(١) مقدمة التهذيب ص ٢٧ .

يتخلصوا من مجهود الليث فى تأليف الكتاب ولكن أصحاب هذا الرأى يختلفون فيما بينهم فى تفسير اشتراك الليث مع الخليل وإلى أى مدى عاون الليث أستاذه فى تأليف الكتاب .

(ا) الليث أعاد وضع الكتاب :

وينسب هذا الرأى إلى ابن المعتز الخليفة الشاعر . فقد اتسع له خياله الشاعرى أن يذكر لنا رواية محبوكة هى أشبه بالقصص الغرامية منها بالروايات العلمية ، فقد ذكر لنا أن الخليل عندما ضاقت به الحال فى البصرة رحل إلى الليث فى خراسان . فوجد فيه ميلا شديداً للغة واطلاعاً واسعاً ودراية بالشعر . وزيادة على ذلك وجد من إكرام ضيافته ما جعله يقيم عنده إقامة معززة مكرمة قد عوضت عليه بعض أيام الفقر فى البصرة ، فقدم له الخليل أغلى هدية عنده وهى كتاب العين الذى كان قد بدأه — لعله يقصد بدأ فكرته . ثم أتمه عنده فى حياته . وقد دفع له الليث جائزة كبرى على ذلك ، كما عكف على دراسة الكتاب ليلا ونهاراً حتى كاد يحفظه عن ظهر قلب .

وقد طلب الليث يوماً من الأيام أن يشترى جارية حسناء مما أحفظ قلب زوجته عليه وأشعل نار الغيرة فى صدرها . ولقد كادت له امرأته فرأت أن تنتقم منه فى أعز شىء لديه . غاب الليث عدة أيام عن منزله ثم عاد فتفقد كتاب العين فلم يجده . ولكنه أحس أن زوجته قد فعلت به شيئاً . وكان حسن الظن عندما حسب أنها قد أخفته . فساومها على إعادة الكتاب . وقد كان الثمن شيئاً تحبه زوجته أكثر من المال إذ وعدها بأن يهدى لها جاريته ، ومعنى هذا أنها تصبح محرمة عليه وأن امرأته حرة فى أن تعتقها أو تبيعها من تشاء خارج المدينة . ولكن زوجته أحضرت إليه رماد الكتاب الذى كانت قد أحرقته . لم يتوان الليث عن التفكير فى طريقة يحيى بها الكتاب من جديد فأخذ يكتب مرة أخرى ما كان يحفظه

من الكتاب حتى أتم نصفه تقريباً ثم جمع بعضاً من اللغويين المعاصرين الذين عاونوه على إتمام الكتاب[1] .

(ب) الخليل وضع كتاب العين والليث أكمله :

ونسب هذا الرأى إلى أبى الطيب اللغوى الذى ذكر أن الخليل بدأ كتاب العين فى حياته ولكنه مات قبل أن يتمه ، وقد نصب تلميذه الليث نفسه لأداء هذه المهمة فأتم بقية الكتاب ولهذا نجد أن الكتاب لا يشبه أوله آخره .

(جـ) الفكرة للخليل والليث قد وضع الكتاب بما يتفق وهذه الفكرة وقد نسب هذا الرأى فيما نسب إلى النواوى إذ قال إن كتاب العين المنسوب إلى الخليل ما هو إلا من عمل الليث الذى وضعه بناء على ترتيب الخليل .

(د) الخليل رتب أصول الكتاب ثم وضع النص من بعده . وأشهر من قال بذلك أبو بكر الزبيدى من المتقدمين وتبعه فى هذا عالمان معاصران هما يوسف عش والمستشرق الألمانى أهلوارت . أما أهلوارت فهو مؤلف الكتالوج الألمانى للمخطوطات العربية ببرلين ، فقد أتيحت له الفرصة أن يتكلم عن هذه المسألة حينما عرض للحديث عن مخطوطتين عبارة عن قطعتين من معجم على نظام التقليبات والأبجدية الصوتية ، وقد رأى أهلوارت أن هاتين القطعتين من كتاب العين . وقد استنتج من استطلاعه أن كتاب العين ليس للخليل بن أحمد وإنما هو قد حشى بواسطة لغويين متأخرين بدليل أنه عثر فيهما على أسماء رواة متأخرين جداً عن الخليل مثل كراع والزجاج ، وقد أجهد نفسه فى تتبع هذه المواضع وذكر الصفحات التى وردت فيها تلك الأسماء ، ثم قرر أنه يميل إلى رأى الزبيدى فى هذه المشكلة . ولكن كما سيأتى ، لقد بنى أهلوارت حكمه على أساس غير صحيح ، إذ أن هاتين القطعتين بعد مقارنتهما بمخطوطة العين ليستا من العين على الإطلاق بل من كتاب آخر كما سنوضحه بعد .

---

(١) طبقات الشعراء لابن المعتز .

أما الأستاذ يوسف عش فقد لخص(١) آراء اللغويين السابقين وعرض للروايات المختلفة ورتبها إلى ثلاث مجموعات بين قائل بعدم نسبة الكتاب للخليل ومن قائل بهذه النسبة ومن متخذ طريقاً وسطاً . وقد رجح هو بناء على تعادل الروايات من حيث القوة وبناء على وجاهة الأسباب التى ذكرها أصحاب كل قول . رجح أن يأخذ الرأى الأخير لأنه أوسطها وخير الأمور — كما قال — الوسط . ولم يشأ أن يذهب أعمق من هذا إلى كتاب العين نفسه ليستهديه الرأى بل بدا له أن يتبع الزبيدى فى ذلك . أما الزبيدى فقد نقل لنا رأيه فى مصدرين مختلفين : أولهما مقدمة كتابه مختصر العين فقد ذكر أن الخليل وضع ترتيب الكتاب ونظم ثم حشاه من بعد أقوام غير أثبات .

أما ثانى المصدرين فهو رواية ذكرها السيوطى وانفرد بها ولم أر أحداً من اللغويين أو أصحاب الطبقات قد اشترك معه فى ذكرها .

هذه الرواية تتضمن أن الزبيدى كان قد أرسل خطاباً إلى بعض إخوانه الذى اتهم الزبيدى بتعصبه ضد الخليل ومما جاء فى تلك الرسالة قوله : « أو ليس من العجيب العاجب والنادر الغريب أن يتوهم علينا من به مسكر من نظر أو رمق من فهم تخطئة الخليل فى شىء من نظره والاعتراض عليه فيما دق أو جلّ من مذهبه والخليل بن أحمد أوحد عصره وقريع دهره ولو أن الطاعن علينا يتصفح صدر كتابنا المختصر من كتاب العين لعلم أنّا نزهنا الخليل عن نسبه المحال إليه . . . وذلك أنا قلنا فى صدر الكتاب ونحن نربأ بالخليل عن نسبة الخلل إليه أو التعرض للمقاومة له . وأكبر الظن أن الخليل سبب أصله وثقف كلام العرب ثم هلك قبل كماله فتعاطى إتمامه من لا يقوم فى ذلك مقامه . . . ومن الدليل على ذلك ما وقع فيه من الحكايات عن المتأخرين مثل أبى عبيد وابن الأعرابى . . . ومن الدليل على صحة ما ذكرناه أن جميع ما وقع فيه من معانى النحو إنما هو على مذهب الكوفيين وبخلاف مذهب البصريين من ذكر مخارج الحروف وتقديمها

وتأخيرها وهو على خلاف ما ذكره سيبويه فى كتابه . . . وكذلك ما مضى عليه الكتاب كله من إدخال الرباعى المضاعف فى باب الثلاثى المضاعف وهو مذهب الكوفيين خاصة . . . ولو أن الكتاب للخليل لما أعجزه ولما أشكل عليه تثقيف الثنائى الخفيف من الصحيح والمعتل والثنائى المضاعف من المعتل والثلاثى المعتل بعلتين ، ولما جعل ذلك كله فى باب سماه اللفيف ... ولما خلط الرباعى والخماسى . . . الخ » . وقد عقب السيوطى على ذلك بقوله « قلت : وقد طالعته إلى آخره فرأيت وجه التخطئة فى بعضه من جهة التصريف والاشتقاق . . . وأما أنه يخطئ فى لفظه من حيث اللغة لأنه يقال هذه اللفظة كذب أو لا تعرف فمعاذ الله لم يقع ذلك ، وحينئذ لا قدح فى العين » . وهكذا نرى أن الزبيدى — إذا صح أن هذه الرسالة له — قد بنى رأيه على دليل بعيد وهو وجود بعض أخطاء فى الكتاب لا يجوز فى رأيه أن تنسب للخليل ، ولكنه لم يوضح لنا شيئاً من هذه الأخطاء . كذلك مسألة الكوفيين والبصريين لا دخل لها فى التنظيم المعجمى . كما سنوضحه بعد ، وفوق هذا فإن الزبيدى عند ما بين فى مقدمة المختصر أن الكتاب حشاه قوم غير ثقاة لم يشأ أن يعينهم لنا أو يذكر لنا شيئاً عنهم .

والآن بعد سرد هذه الآراء لنعرض إلى مناقشتها لنتبين الأسس التى بنيت عليها ، ولعله يتضح لنا آخر الأمر الرأى الصواب فى المسألة .

مناقشة الآراء فى العين

مناقشة الرأى الأول :

يعزى إلى أبى على القالى أنه لم يعترف بكتاب العين سواء أكان من عمل الخليل أم من عمل غيره .

بناء على أنه ليس للكتاب إسناد وقد ذكر لنا الرواة أن القالى أخذ هذا الرأى عن أبى حاتم الذى قرر أن الكتاب لم يكن منتشراً بين العلماء فى عهده .

والذى يبدو غريباً فى رأى القالى هذا ، أن القالى نفسه قد اعترف بكتاب العين وبأن مؤلفه الخليل :

(أولا) عندما اقتبس منه كثيراً فى كتاب البارع تحت عبارة « وقال الخليل » وبمقارنة بعض هذه الاقتباسات بكتاب العين وجد أنها تتفق كلمة بكلمة مع كتاب العين .

(وثانياً) ما روى أن القالى عندما رحل من المشرق إلى الأندلس واتصل بالخليفة الحاكم الثانى ألف له كتاب البارع الذى كان فخوراً بأن يبز العين بحوالى ٤٠٠ ورقة وأن البارع أيضاً يفوق العين فى عدد الكلمات إذ يزيد عليه بحوالى ٥٦٨٥ كلمة كما ذكر الرواة[1] .

ومن ناحية أخرى فإن عدم معرفة أبى حاتم بانتشار الكتاب فى عهده لايدل على عدم نسبته إلى الخليل . كما أن مسألة الإسناد على فرض عدم معرفة أبى حاتم بسلسلة رواية العين لا تنفى نسبة الكتاب للخليل .

وفوق هذا فإن تعارض ما روى منسوباً للقالى مع الحقيقة الواقعة وهى اعترافه بنسبة الكتاب للخليل فى معجمه « البارع » يجعلنا نشك فى صدق هذه الرواية تماماً ولا يصح أن نعدل عن الواقع لمجرد وجود رواية تخالفه .

مناقشة الرأى الثانى :

نرى أن الأزهرى فى تهذيبه حينما لم تسعفه الأمور بما يرمى به الخليل كما فعل بابن دريد وغيره . رأى أن يتحاشى أن يترجم للخليل حتى لا يتعرض لذكر العين تحت اسمه بالمرة ، وعندما نرى فى مقدمته ذكر الخليل فإنما كان ذلك عرضاً عند الكلام على آخرين كتلاميذه مثلا . ونرى قبل أن نعرض للسبب الرئيسى لتجنب الأزهرى ذكر الخليل أن نذكر أن تعصب الأزهرى لم يكن فقط ضد كتاب العين أو ابن دريد الذى رأى أن العين تأليف الخليل

---

(١) مقدمة البارع – كتبها المستشرق فولتون .

بل تعداى هذا إلى كل من ألف فى المعاجم من قبله . وعلى سبيل المثال قد عرض الأزهرى فى مقدمته لاثنين من اللغويين أصحاب المعاجم الذين اعتبرهم غير ثقات وهما الخزرنجى صاحب « تكملة العين » وأبو الأزهر البخارى صاحب « الحواصل » .

ورغم الحملة العنيفة على الخزرنجى فإننا نجد الأزهرى كثيراً ما يقتبس عنه وينقل الروايات اقتباساً ونقلا يشعران القارئ بأنه ثقة ، كما ينقل عن غيره ممن وثقهم كالأصمعى وأبى عبيده .

هذه الحملات إذن لها غرض خاص يرمى إليه الأزهرى . هذا الغرض على ما نظن هو تقرير عدم أهمية المعاجم التى سبقته ليبرز معجمه فى صورة الكتاب الذى ليس له قرين ، ولعل اسم « التهذيب » الذى يشعر بغربلة ألفاظ اللغة وانتقائها يرمى إلى شىء من هذا كما عبر بذلك صراحة فى مقدمته ، ومع هذا فقد نقل الأزهرى كثيراً عن كتاب العين تحت التعبير « قال الليث » ، ولكن لا لينبه على خطئه كما وعد بل نقل عنه فى أكثر الأحيان كما لو كان ثبتاً موثوقاً به ، إلا فى النادر اليسير فإنه تعرض لتخطئته كما خطأ غيره ممن وثقهم . وكم كنا نرحب أن يثبت الأزهرى هذا الخطأ مكتفياً بأنه خطأ كتاب العين فقط أو يذكر مع شىء من الجرأة والصراحة فى الحق أنه خطأ الخليل . ولسنا نتفق مطلقاً مع من يقولون إن الخليل فوق الشبهات وأنه لا يعزى إليه أى خطأ بل قد وقعت بعض الأخطاء البسيطة فى العين التى لا تؤثر مطلقاً على مقام الخليل إذ هو — كما سنوضح بعد — كان مشغولا بالتبويب والترتيب أكثر من انشغاله بالمفردات أو ما سموه حشو الكلمات .

وأكثر من هذا فإن الأزهرى عندما أراد فى المقدمة — بعد أن ترجم للغويين وهاجم من هاجم منهم — أن يذكر منهجه فى الكتاب ويوضح ترتيبه ويبين لنا كيفية تنظيم المفردات فيه ، لجأ إلى مقدمة كتاب العين ينقل منها

بالحرف الواحد الشيء الكثير . والغريب فى الأمر أنه اعترف بأن هذا الترتيب البديع قد اتفق جميع اللغويين على أنه للخليل بن أحمد . استمع للأزهرى يلقى باعترافه[1] : « ولم أر خلافاً بين اللغويين أن التأسيس المجمل فى أول كتاب العين لأبى عبد الرحمن الخليل بن أحمد ، وأن الليث بن المظفر أكمل الكتاب عليه بعد تلقفه إياه عن فيه . وعلمت أنه لا يفوق أحد الخليل فيما أسسه ورسمه فرأيت أن أنقله بعينه لتتأمله وتردد فكرك فيه وتستفيد منه ما بك الحاجة إليه » . فما معنى أن الليث أكمل الكتاب عليه . إن عبارة « أكمل » تفهم أن شخصاً آخر قد ابتدأ العمل فى هذا الشيء الذى يحتاج إلى إكمال . وأشد من هذا تعبيراً « بعد تلقفه إياه عن فيه » أليس يعنى هذا المشافهة التى هى صنو الإملاء .

أليس هذا يتفق مع رواية السيرافى « وأملى كتاب العين على الليث »[2] التى لم يذكر مصدرها ولعله أخذها عن الأزهرى . ثم إنه مع هذا كله لا يرى أن الخليل هو المؤلف لكتاب العين — صحيح أننا لا نخلى يد الليث من عمل شيء بالنسبة للكتاب . ولكن مجهود الليث فى ذلك لا يصل إلى درجة أن يعد هو المؤلف فنسمح للأزهرى أن ينقل عن العين بعبارة « قال الليث » .

وقد يكون مقبولاً منه كما فعل الزبيدى أن يقول : قال فى العين . فإن الزبيدى لم يسم كتابه باسم مختصر الليث أو الخليل وإنما كان محايداً فى عنوان كتابه إذ أسماه مختصر العين .

والآن لنعرض تعليقا على العين من التهذيب لنرى كيف كان الأخير ينقل عن الأول .

ذكر الأزهرى أن كلمة « البغاث » بالغين المعجمة تحريف من الليث وإنما الصواب هو أن تكون الكلمة بالعين المهملة ، وقد ذكرت القواميس

---

(١) فى مقدمة التهذيب ص ٣٩ . (٢) نزهة الألبا — ترجمة الخليل .

المتأخرة كاللسان والتاج أن كلا اللفظين وارد « وصحيح ، بل قد ذكر التاج قوله « ونقل أبو عبيدة عن الخليل: بغاث بغين معجمة » . وكتاب العين نفسه قد سجل الكلمة تحت باب الغين المعجمة وقال : ويقال أيضاً بعاث . بنفس الكتاب ، ورواية أبي عبيدة ترى أن رأى الخليل قد أورد الكلمة بالصورتين . وتفسير هذا فى نظرنا أنهما لهجتان وإن رؤيتنا الخلاف فى نطق أسماء البلاد لبعض من هذا ، فكيف بعد هذا يختار الأزهرى صورة واحدة للكلمة ليعترض عليها .

حتى فى المقدمة التى اقتبسها الأزهرى من العين واعترف بنسبتها للخليل وأنه لا خلاف فى ذلك بين الأئمة نجد أنه ذكر هذه العبارة « قال الليث ابن المظفر : لما أراد الخليل بن أحمد الابتداء فى كتاب العين أعمل فكره فيه فلم يمكنه أن يبتدئ من أول باب ا ب ت لأن الألف حرف معتل . . الخ » .

ولكن ما فى كتاب العين يختلف تعبيراً عما ذكر الأزهرى فليس فى كتاب العين كلمة الابتداء التى وضعها الأزهرى من عنده بدل كلمة التأليف هى التى فى كتاب العين ، على أن الأزهرى فى آخر المقدمة عندما احتاج إلى إعادة العبارة ليبين أن الكتاب لم يحتو جميع المفردات كما فهم البشتى بل يحصى المواد فقط . وكان الغرض من الإعادة هو مهاجمة البشتى مرة أخرى . قال الأزهرى فى أول المقدمة[1] « وروى الليث بن المظفر عن الخليل بن أحمد فى أول كتابه : هذا ما ألفه الخليل بن أحمد من حروف ا ب ت ث التى عليها مدار كلام العرب وألفاظها ولا يخرج شىء منها عنه ، أراد أن يعرف بذلك جميع ما تكلمت به العرب فى أشعارها وأمثالها ولا يشذ عنه منها شىء ، قلت قد أشكل هذا الكلام على كثير من الناس حتى توهمه بعض المتحذلقين — يقصد البشتى وأمثاله — أن الخليل لم يف بما شرط لأنه أهمل كلام العرب ما وجد فى لغاتهم مستعملا » .

---

(١) ص ٤٩ .

ثم شرع الأزهرى يطبق هذه النظرية على البشتى الذى أخطأ فى فهم المراد من عبارة العين أو على الأصح عبارة الخليل . كما أورد الأزهرى دون أن يفطن إلى وجهة نظره الخاصة « أن الخليل لم يف بما شرط » فكيف إذن يدافع الأزهرى عن الخليل بأنه لم يذكر فى كتابه كل المواد — أو الكلمات — مع أن الكتاب لليث كما يدعى .

ولعلنا بعد أن ناقشنا الأزهرى قد اقتنعنا على الأقل بترك رأيه إن لم نقل بضده ، لأنه كما تبين لنا كان متعصباً متحاملا على أصحاب المعاجم السابقة ينال منهم ويأخذ عليهم الأخطاء التى وقع فيها كثير غيرهم ممن وثقهم الأزهرى واعتد بهم ، وذلك كما قلنا لحاجة فى نفسه ؛ هى أن كل ما سبقه من الكتب حتى العين أقل من كتابه . ولما لم يكن ليجرؤ على تخطئة الخليل فى العين أراد أن يلصق الكتاب بغيره ليسهل عليه الطعن فيه . ولسنا نفهم أن هذا الغير يترك مجهوده الضخم فى ذلك الإنتـــاج الفذ الذى لم يسبق إليه لا الخليل ولا لأستاذ الخليل . ألسنا فى حل أن نكيل للأزهرى بنفس الكيل . ونقول : أنت رجل فوق الشبهات وفوق الخطأ وما ورد فى كتابك من ذلك فليس لك بل هو من تأليف غيرك الذى نحلك الكتاب ليستغل اسمك نظراً لشهرتك العلمية ورسوخ قدمك فى علم اللغة ؟ وكفى هذا بالنسبة للأزهرى لننتقل إلى غيره .

مناقشة الرأى الثالث :

ويشمل هذا كله كما سبق أن عرفنا ، رأى الذين يقولون إن الليث اشترك مع الخليل فى الكتاب ولكن يختلفون فى تفسير هذا الاشتراك فابن المعتز — كما رأينا — يروى القصة الخرافية التى أدت إلى أن تحرق زوج الليث كتاب العين انتقاماً منه لشغفه بجاريته الحسناء مما اضطره إلى إعادة كتابة

العين من جديد . أتم نصفه من ذاكرته واستعان فى النصف الثانى ببعض من أعانه .

ولكن ابن المعتز لم يتخذ هذا سبيلا للشك فى الكتاب وكان فى وسعه أن يقول كما قال غيره : « إن آخر الكتاب لا يشبه أوله فبعضه على الأقل ليس للخليل » ولكنه كشاعر لا يهتم بتحقيق نسبة الكتاب تحقيقاً وافياً بل أورد القصة الغرامية محبوكة مما يجعلنا نشك فيها . ثم كيف يترك الليث الكتاب ، وهو ابن الأمير وله من السعة ما يجعله يحفظ كنزه فى حرز مكين أمين ؟ كيف يترك كتابه لزوجه وهو يعلم مدى غيرتها لتفعل به ما تشاء . وهذا ما يجعلنا نتشكك فى صحة الرواية التى تقول بأن الكتاب أحرق ثم أعيدت كتابته على يد الليث مما يحملنا على ترك هذا الرأى كلية .

أما السيرافى فقد اضطرب فى النسبة فمرة يقول إن الخليل أملى كتاب العين على الليث ومرة يقول إن الخليل عمل أول كتاب العين ولكنه لم يوضح إلى أى مادة وقف تأليف الخليل وابتدأ الليث .

أما أبو الطيب والنواوى اللذان يقولان بما يشبه هذا فقد نقلا فقط آراء غيرهما شأن بقية مؤلفى الطبقات دون القطع برأى حاسم فى المسألة .

فيصبح إذن تفسير اشتراك الليث بأنه ألف بعضاً من الكتاب أو أن الخليل لم يعمل كل الكتاب لا يعتمد على دليل قوى مما يجعلنا غير مطمئنين لهذا الرأى .

مناقشة الرأى الرابع :

وهو رأى من يقول بأن الخليل ابتدع النظام ورتب الأبواب وأن غيره أكمله ، وأهم هؤلاء كما رأينا هم : الزبيدى وأهلوارت ويوسف عش :

(ا) أما الزبيدى : فذكر بعض النقاط التى اعتمد عليها فى تكوين رأيه وهذه النقاط تستخلص من مقدمة[1] كتابه « استدراك الغلط الواقع

---

(١) المزهر ص ٥٢ .

فى كتاب العين » والتى وجه منها الكلام إلى بعض إخوانه الذين عاتبوه فى شأن الحملة على الخليل والتعصب ضده ، وهذا على فرض صحة ما ورد فى تلك المقدمة .

وأبرز هذه النقاط ما يأتى :

١ ــ ادعى فى تلك المقدمة أن كتاب العين وردت فيه أسماء رواة معاصرين للخليل وأنه من غير المعقول ــ والخليل رأس مدرسة البصرة ــ أن يكون قد اعتمد على غيره فى حشو الكتاب بالمفردات . والأكثر من هذا أن هناك أسماء لبعض الرواة المتأخرين عن عصر الخليل وكل هذا ــ إن صح ــ فلا يفيد أن الكتاب ليس للخليل . وإنما غاية ما يفيده أن بعض الزيادات قد أضيفت فعلا إلى الكتاب . وهذا يعنى أن بعض الأسماء قد أضيفت بفعل الرواة إلى الكتاب كما كان يحدث لكثير من الكتب التى ألفت فى صدر الإسلام وليس كتاب العين بدعاً من بينها .

٢ ــ أورد الزبيدى أن الترتيب الصوتى للأبجدية يختلف من بعض الوجوه عما ورد فى كتاب سيبويه ، وسيبويه يعتبر إلى حد كبير ممثلا لرأى أستاذه الخليل الذى استوحى من تعليمه موضوعات كتابه . ولكن ولم يذكر بالتحديد موضع المخالفة . وأوضح الزبيدى أنه ليس المراد بذلك تقديم حرف العين على أخواتها من حروف الحلق ــ فإن لذلك وجهاً مقبولاً وهو أن الهمزة التى هى أسبق مخرجاً قد أخرت حتى عدت ضمن حروف العلة نظراً لتغييرها فى التصريف ومجيئها محذوفة فى كثير من الأحيان ــ وإنما يقصد « تقديم غير ذلك من الحروف وتأخيرها » .

ولكننا إذا تتبعنا ترتيب الحروف الهجائية « الصوتية » فى العين وفى المختصر وجدناه متفقا . فكيف نفهم أن الزبيدى يعترض على الترتيب ثم يبنى عليه كتابه . والأكثر من هذا أنه قد روى عن الزبيدى ذكر

مناقضات أخرى فى العين مثل قوله[1] ، ولو أن الكتاب للخليل لما أعجزه ولا أشكل عليه تثقيف الثنائى الخفيف من الصحيح والمعتل ، والثنائى المضاعف من المعتل والثلاثى المعتل بعلتين . وكما جعل ذلك فى باب سماه اللفيف فأدخل بعضه فى بعض ، وخلط فيه خلطاً لاينفصل منه شىء عما هو بخلافه ، ولوضع الثلاثى المعتل على إقامة الثلاثى ليستبين معتل الياء من معتل الواو والهمزة ولما خلط الرباعى والخماسى من أولهما إلى آخرهما » .

وإذا قارنا ما قاله الزبيدى بما هو واقع فعلاً فى كتاب العين نجد أنفسنا فى حيرة بالغة . فإن العين لم يخلط الثلاثى المعتل باللفيف بل أفرد لكل منهما باباً ، وكذلك لم يخلط الرباعى بالخماسى بل ذكر الرباعى أولا ثم أعقبه بذكر الخماسى كما فعل الزبيدى نفسه . ولكن إذا رجعنا إلى كتب الطبقات نجدها تذكر للزبيدى كتاباً تحت اسم الاستدراك بجانب كتابه مختصر العين .

ولكن هذا الاستدراك لا علاقة له بالعين وإنما هو استدراك على أبنية سيبويه ، وهى الصيغ التى ذكرها عند الكلام على ورود حروف الزيادة فى المفردات العربية . ولم تذكر لنا كتب الطبقات الاستدراك على كتاب العين . كما أننا من ناحية أخرى لم نجد ما ذكر عن الزبيدى فى هذا الشأن إلاّ فى كتاب المزهر للسيوطى . فما معنى هذا ؟ هل معناه أن الزبيدى يناقض نفسه ؟ أم أن هذا يعنى أن تلك الرواية مختلقة من أساسها شأن غيرها من الروايات التى تذكر من وقت لآخر فى المزهر دون تحقيق أو تمحيص ؟ لعل من الأسلم أننا لا نتحامل على الزبيدى وننسب له التناقض ، ونكتفى فقط بنظرية اختلاق الرواية — وعلى ذلك ينجلى الموقف بعض الشىء .

---

(١) المزهر ص ٥٢ .

ب ـ أهلوارت :

أما ما ذكره هذا المستشرق الألمانى حين الكلام[1] على قطعتين مخطوطتين استنتج خطأ أنهما من كتاب العين . ورتب على ذلك أن ورود أسماء متأخرة مثل ثعلب المتوفى عام (٢٩١ هـ) والدينورى (٢٨١) وكراع (٣٠٧) والزجاج (٣١٠) وابن جنى (٣٩٢) والهروى (٤٠١) ـ ورود هذه الأسماء يدل على أن الكتاب أكمل بعد عصر الخليل .

ولكن بمقارنة هاتين القطعتين بكتاب العين نفسه وجد اختلاف فى المنهج يتمثل فيما يلى :

(ا) أن هناك تفصيلا فى ذكر المعتل الواو والمعتل الياء ، فلم يذكرا معاً كما فى العين .

(ب) أن ذكر الرواة فى العين يرد نادراً جداً بخلاف ذكر الرواة فى هاتين القطعتين فإنه يرد بكثرة ، سواء فى ذلك الرواة المتقدمون أو المتأخرون .

(جـ) أن ذكر الرواة يرد بأسمائهم فقط دون ذكر كتبهم التى نقل رأيهم عنها فيما عدا اسماً واحداً هو اسم كراع المذكور دائما مع اسم كتابه هكذا « وقال كراع فى المنضد » .

(د) أن الرواية عن الزجاج إنما وردت عند الحاجة إلى شرح لفظ من القرآن الكريم وبمراجعة المعاجم التى اتبعت نظام العين وجد أن هذه الخصائص تتمثل فى المحكم لابن سيده وقد استنتجنا هذا بمراجعة بعض أجزاء المحكم التى عثرنا عليها . ولم تمكنا الظروف من مقابلة القطعة الموجودة فى برلين بنظيرتها فى المحكم نفسه[2] ، وعلى ضوء ما ذكرنا نجد أن أهلوارت

---

(١) كتالوج المخطوطات العربية فى برلين سنة ١٨٩٤ ص ٢٣٧ .

(٢) لقد بينت هذا بتفصيل أكثر فى بحث ألقى فى مؤتمر المستشرقين الدولى الثالث والعشرين بمدينة كمبردج بانجلترا فى أغسطس سنة ١٩٥٤ وقد عقب فى نفس الجلسة المستشرق=

بنى رأيه على ظن خاطئ . ولو أنه قد أتيحت له الفرصة لرؤية المحكم لربما كان قد غير رأيه .

(ح) عش :

لقد أجمل الأستاذ عش فى مقالاته التى ذكرها فى صحيفة مجمع دمشق ما قاله السابقون وعلى الأخص ما ذكره السيوطى الذى قال عنه إنه يتمثل فى رأى الزبيدى لأن هذا الرأى وسط بين رأيين متطرفين الرأى القائل بأن الخليل هو المؤلف للكتاب والواضع لمفرداته كلية وتفصيلا ، والرأى القائل بأن الكتاب ليس من عمل الخليل .

وقد كنا نتوقع منه أن يأتينا بأدلة من كتاب العين نفسه ليبنى عليها رأيه . لأننا نظن أنه علم بوجود بعض نسخ العين بدليل أنه قال فى معرض ذكر بعض الآراء : « لا يمكن قبول الرأى القائل بأن الخليل وضع أول الكتاب فقط حيث إن آخره لا يشبه أوله ، لأن المتتبع للكتاب يرى أن الأخطاء فى آخره هى نفس الأخطاء فى أوله » ومن جهة أخرى فقد ختم الأستاذ بحثه برجاء إلى حكومة العراق قال فيه : « وإنا لنأمل أن تأخذ الحكومة العراقية على عاتقها طبع الكتاب بمناسبة ذكرى الأب أنستاس الكرملى . خصوصاً بعد أن لم يبق منه إلا نسخة أو نسختان » . فإن تعرضه لذكر النسخ دليل على معرفة مكانها أو العلم بوجودها إن لم نقل إنه — مع ما له من النفوذ والجاه العلمى — يمكن أن يطلع على النسخة فعلا دون أى صعوبة . وهكذا حرمنا الأستاذ من الاستماع لرأيه الشخصى واكتفى فقط بأن يذكر لنا ما قاله الأقدمون وإن كان قد عرضه بصورة واضحة مفصلة جلية .

= الألمانى « كريمر » فقال إنه عند رؤيته القطعتين فى برلين حصل له نفس التشكك — وقد تأكد من أنهما من المحكم عند ما كان فى استنبول فى المؤتمر الثانى والعشرين وأتيحت له فرصة مقابلة قطعتى برلين بالمحكم الذى توجد منه نسخة كاملة هناك .

مناقشة الرأى الخامس :

من المؤلف لكتاب العين ؟

وهنا قد بقى الرأى الذى ينسب « العين » للخليل صراحة بالمعنى الكامل لكلمة – مؤلف – وقد سبق أن رأينا فى مناقشتنا للآراء السابقة كيف أن بعضها اعتمد اعتماداً كلياً على الرواية فقط كما أن هذه الروايات يخالف بعضها بعضاً ، على أن هناك روايات أخرى تقابلها فتذكر صراحة نسبة العين للخليل فقد ذكر ابن النديم[1] أن أبا الفتح النحوى الذى كان (ثقة صدوقا) قد حدث بأن ابن دريد ذكر له كيف ورد كتاب العين إلى بغداد فى عام ٢٤٨ هـ ، وذلك أن أحد النساخين قد أحضره من خراسان فى ثمانية وأربعين جزءاً وباعها بخمسين ديناراً ... وقد علم أن ابن دريد كان من المتشككين فى نسبة الكتاب للخليل . على أن ابن دريد قد صرح بهذه النسبة فى مقدمة الجمهرة[2] .

ومن أقدم الكتب التى ورد فيها ذكر الخليل كراو فى تفسير بعض المفردات الغامضة كتاب سيرة بن هشام ، فقد أورد أبياتا ورد فيها ذكر كلمة العيهب ثم عند تفسيرها قال[3] : قال الخليل : العيهب الضعيف الجبان . وهذ ايتفق مع ما فى العين . فكأن الكتاب كان فى عهدة بعض المؤلفين كقاموس أو مرجع لتفسير الغريب .

وقد تصدى قديماً من دافع عن « العين » كإنتاج بصرى ضد من هاجمه من الكوفيين ، فقد ذكر السيوطى « ممن ألف أيضا الاستدراك على العين أبو طالب المفضل بن سلمة بن عاصم (الكوفى) من تلاميذ ثعلب . قال أبو الطيب اللغوى : رد أشياء من العين أكثرها غير مردود » . ثم ذكر السيوطى بعد ذلك[4] عن كتاب العين : « وقديماً اعتنى به العلماء وقبله

---

(١) الفهرس ص ٦٧ .
(٢) المزهر ص ٥٥ .
(٣) السيرة جـ ٢ ص ١٧٣ .
(٤) المزهر ص ٥٣ .

الجهابذة . فكان المبرد يرفع من قدره ، ورواه أبو محمد بن درستويه وله كتاب فى (الرد على المفضل بن سلمة فيما نسبه إليه من الخلل) ويكاد لا يوجد لأبى إسحاق الزجاجى حكاية فى اللغة إلاّ منه » .

ولعل هذا مما يلقى لنا ضوءاً على التخاصم بين الكوفيين والبصريين وكيف أن الكوفيين لما رأوا سبق البصريين لهم فى اللغة والنحو أخذوا يهاجمونهم بشتى الوسائل . فمسألة الزنبور بين سيبويه والكسائى ومناصرة الأمين للكوفيين فى شخص الكسائى . ومسألة تأليف المفضل الكوفى ردا على الخليل ما هما إلا حلقتان من سلسلة التخاصم بين المدرستين .

ومما هو جدير بالذكر أننا نرى السيرافى الذى ارتضى نقل الرأى القائل بأن الخليل عمل أول كتاب العين ، نرى أن نقل هذا الرأى ورد عن ثعلب وهو من هو تعصبا للكوفيين .

ولنذكر باختصار آراء اثنين من أصحاب المعاجم الذين اعترفوا بنسبة العين للخليل . ورأى أحد المستشرقين كذلك . وعلى سبيل التحديد ابن فارس وابن دريد والمستشرق براونلتش .

ابن دريد :

ذكروا أن ابن دريد كان أول من اعتمد على العين فى تأليف الجمهرة فقد نقل عن الخليل كثيراً فى معجمه هذا ، ورغم ما بين الكتابين من بعض الاختلاف فى الترتيب الأبجدى فلم يسلم ابن دريد من تهمة سرقة « العين » ووضعه — بعد شىء من التعديل — تحت اسمه هو ؟ وقد ذكر المزهر أن نفطويه ألصق به هـذه التهمة الباطلة ، وهى إن دلت على شىء فإنما تدل على أمر كان مقرراً معروفا لدى اللغويين المتقدمين وهو أن ابن دريد اعترف صراحة بنسبة العين للخليل . ولقد أخبرنا ابن دريد بذلك فى مقدمة الجمهرة بقوله : إنه عند ما هم بكتابة معجم فى العربية أراد أن يضعه مبسطا للتلاميذ وعامة القراء لأن كتاب

الخليل صعب الترتيب لا يفهمه إلاّ من كان راسخ القدم فى علوم اللغة وأنه فى تلك الأيام أصبحت الحاجة ماسة إلى كتاب أسهل ترتيبا وأقرب منالاً ، فكان أن وضع ابن دريد الجمهرة . كما صرح فى موضع آخر من المقدمة فى عبارة واضحة جلية حين قال : « ألف الخليل بن أحمد كتاب العين » . والتعبير بكلمة ألف هنا لها مالها من الدلالة خصوصاً إذا أخذنا فى الاعتبار أن ابن دريد بصفة لاشعورية يريد الرد على الأزهرى فى ذلك .

ولنترك صاحب الجمهرة يبين رأيه بنفسه ولنستمع إليه إذ يقول[1] : « ولم أجر فى هذا الكتاب إلى الازدراء بعلمائنا ولا الطعن فى أسلافنا وأنى يكون ذلك وإنما على مثالهم يحتذى : . . وقد ألف أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفرهودى كتاب العين فأتعب من تصدى لغايته وعنّى من سما إلى نهايته . . . فكل من بعده له تبع . أقر بذلك أم جحد . ولكنه رحمه الله ألف كتابه مشاكلا لثقوب فهمه وذكاء فطنته وحدة أذهان أهل عصره . . . » .

ابن فارس :

أما ابن فارس فقد أعلن صراحة فى مقدمة معجميه المقاييس والمجمل بأن مؤلف العين هو الخليل بن أحمد وذلك حين ذكر مراجعه الكبرى فقال : « أعلاها وأشرفها كتاب العين للخليل بن أحمد » .

وفى تضاعيف كتابيه نجد أنه يقتبس كثيراً من العين تحت عبارة « وقال الخليل » ورغم أن الزمن قد تأخر بابن فارس حتى اطلع على الجمهرة والتهذيب وكثير من كتب اللغة فإنه لم يشأ أن يقحم نفسه فى الرد على من تعرضوا للشك فى نسبة كتاب العين . فكأنه بذلك وبوضعه المسألة فى تعبيره السابق يريد أن يعلن أن الأمر أصبح جلياً وغير محتمل للشك .

---

(١) مقدمة الجمهرة ص ٣ .

براونلتش[1] :

لقد عرض براونلتش لهذه المسألة ووضع نصب عينيه القسم المطبوع من كتاب العين ليساعده على تكوين رأى أقرب إلى الصواب ، فلم يعتمد فقط على ما ذكرته كتب الطبقات ولم يبن حكمه على الرواية الصرفة .

ثم عرض براونلتش إلى العين يختبره ويبحثه وهداه تفكيره إلى أن الكتاب للخليل ، وقد بين سبباً لهذا أن الكل قد اتفق على أن التنظيم والترتيب من صنع الخليل وهذا هو جوهر المسألة وهو المعنى بكلمة التأليف . أما الإضافة أو الحذف فلا تؤثر فى مركز الخليل كمؤلف للكتاب . وأضاف أيضاً إلى هذا أن تلميذه الليث قد قام بنصيب كبير فى نقل الكتاب عن الخليل وربما أثبت فيه أشياء بعد أن استأذن الخليل فى ذلك .

وانتهى من هذا إلى أن المؤلف للعين هو الخليل وأن المخرج للكتاب هو الليث .

بعد سرد تلك الآراء المختلفة ومناقشتها وبعد عرض رأى القائلين صراحة بنسبة الكتاب للخليل نرى أن أقوى حجة فى جانب المعارضين هو ما ذكره السيوطى على اعتبار أنه رأى الزبيدى ونقله عما سماه « الاستدراك على العين » ، فى حين أن الاستدراك للزبيدى إنما هو الاستدراك على كتاب سيبويه لاعلى العين وقد سبق أن أسهبنا القول فى بطلان هذه الأدلة .

أما الآراء الأخرى فقد رأينا أن أغلبها استنتاجى يعتمد فقط على الرواية دون النظر إلى وقائع الأمور .

---

(١) نشر هذا المستشرق بحثا مطولا عن هذا الموضوع فى مجلة إسلاميات ج ٢ ص ٢٩ .

« كتاب العين يتحدث »

والآن وقد استعرضنا مختلف الآراء فلننتقل إلى كتاب العين نفسه لنرى ماذا يقول :

لقد بدئ العين بالإسناد شأنه شأن الكتب اللغوية الأولى[1] ففى الصحيفة الثانية من المخطوط نرى هذه العبارة :

« قال أبو معاذ عبد الله بن عائذ : حدثنى الليث بن المظفر بن نصر ابن سيار عن الخليل بجميع ما فى هذا الكتاب . قال الليث قال الخليل . .

وكلمة « بجميع ما فى هذا الكتاب » تقطع خط الرجعة على القائلين بأن الخليل عمل أول كتاب العين فقط .

والكتاب يبدأ بمقدمة مطولة ، فيها ذكر مخارج الحروف التى اتخذت أساساً لتنظيم الكتاب وهذا التنظيم والترتيب قد اعترف الجميع بنسبته للخليل ، وعلى رأس المعترفين بذلك الأزهرى فى كتاب التهذيب كما سبق أن بيناه — وفى ثنايا المقدمة نجد بعض القوانين الصوتية التى استنبطها الخليل من بحثه العميق فى علم الأصوات اللغوية ذلك الجهد الذى أيدت معظمه الأبحاث الحديثة[2] .

ومن بين تلك القوانين أن الرباعى والخماسى من الكلمات العربية لابد أن يشتمل بين حروفه على أحد حروف الذلاقة المنحصرة فى (ل ن ر ، ف ب م) .

وأن هناك حالات خاصة قد ينوب فيها حرفان معينان عن أحد هذه الحروف . وفيما عدا ذلك إذا وردت أى كلمة من ذلك تخالف

---

(١) مثلا النوادر لأبى زيد .

(٢) كتب الدكتور السمران أطروحة لدرجة الدكتوراه فى جامعة لندن يبين فيها ملاحظات اللغويين العرب فى علم الأصوات اللغوية وقد أثبت أن معظمها عن الخليل بن أحمد .

هذا فليحذر من نسبتها للعربية ، وقد نبه الخليل على هذا فقال لتلميذه :

« فلا تقبلنّ من ذلك شيئا مهما ورد عن ثقة » وعلل سبب هذا فى موضع آخر إذ قال : « فإن النحارير ربما أدخلوا على اللغة ما ليس منها إرادة اللبس والتعنت » ، كما ذكر أيضا أن اتحاد المخارج أو تقاربها قد يكون سببا فى أن تكون المادة (مهملة) وبناء عليه فبعض المفردات التى تخالف هذا القانون إنما هى دخيلة على العربية وقد سماها الخليل بالمولد أو المحدث .

وعند ما ابتدأ الخليل فى ذكر المفردات بدأ كتابه بالعين فذكر فى مقدمة هذا الحرف أن العين والحاء لايجتمعان فى كلمة واحدة إلاّ فى حالة النحت مثل لفظ حيعل والحيعلة . وفى الجزء الثانى من الكتاب وهو المبدوء بحرف القاف نجد أيضاً هذه العبارة . . « القاف لاتجتمع مع الكاف فى كلمة واحدة » . بقى شىء هام هو تفسير عبارتى « قال الخليل أو سألت الخليل » الواردتين فى أثناء الكتاب الأمر الذى اتخذه البعض دليلا على عدم تأليف الخليل للكتاب ، ولكنا نلاحظ عبارة « سألت » واردة أيضاً فى كثير من الكتب اللغوية الأولى فمثلا كتاب الخيل للأصمعى مملوء بعبارة « سألت الأصمعى » ومع هذا لم يشك أحد فى نسبة كتاب الخليل للأصمعى . وأما العبارة الأولى فهى أكثر شيوعاً بل إنها ظلت مستعملة لمدة طويلة فمثلا الأمالى مملوء بعبارة « قال أبو على » وكذلك الجمهرة نحو جملة « قال أبو بكر » وغير هذا كثير . .

وهناك بجانب ما سبق شىء آخر يحتاج إلى تفسير وهو ورود أسماء بعض الرواة فى ثنايا الكتاب مما كان مصدراً للجدل والمناقشة وهذه الأسماء يمكن تقسيمها إلى ثلاث مجموعات :

(ا) معاصرون للخليل مثل : أبى الدقيش ، يونس ، سيبويه ،

الأصمعى ، أبو زيد ، وأمثال هذه الأسماء من الأشياء المألوفة التى نجدها كثيراً فى كتب اللغة . وهذا يعنى أن مؤلف الكتاب اقتبس من هؤلاء الرواة . فكيف نفسر اقتباس الخليل هذا ؟ وقد أجاب عن تلك النقطة الأستاذ أحمد أمين[1] . فاختار أن الخليل بعد أن رتب الأبواب ونظم المواد — وكان هذا همه الأكبر أخذ يضع المفردات أو يحشو الكتاب فاعتمد على كتيبات معاصريه أو تلاميذه .

ونضيف إلى هذا أن ذلك لاينقص شيئاً من قدر الخليل . فلو أن أستاذاً كبيراً فى عصرنا أراد أن يؤلف كتابا فى موضوع معين وذكر من بين مراجعه كتابا لأحد تلاميذه الناشئين المتخصصين فى فرع من فروع الموضوع أيكون فى هذا حطة لقدر الأستاذ أو استغراب فى أن ينقل كبير عن صغير مسائل فرعية فى موضوع ما ؟ وهل هذا ينفى أن الفكرة الرئيسية للأستاذ ؟

(ب) رواة متأخرون عن عصر الخليل وقد ورد قليل من ذلك فى كتاب العين — والرد على هذا يسير سهل وهو أن الوراقين فى العصور الإسلامية الأولى كانوا يضيفون إلى صاحب النص ما ذكر على هامشه ، وبين أسطره من تعليقات لبعض اللغويين الذين قرءوا الكتاب اعتقاداً منهم بأن ذلك نوع من الفائدة للقارئ العادى — وإنا لا نستغرب هذا إذا عرفنا أن كثيراً من الكتب قد اشترك مع العين فى هذه الظاهرة — وخير مثال لذلك « النوادر » لأبى زيد ، و « الكتاب » لسيبويه .

(جـ) النوع الثالث من الرواة بعض الأسماء التى وردت لرواة غير مألوف الأخذ عنهم وقد رأى الأب أنستاس الكرملى أن الخليل قد انفرد بالأخذ عن بعض من الرواة الثقات ،ولكن ضياع نسخ الكتاب أول الأمر

---

(١) ضحى الإسلام جـ ٢ ص ٢٧٠ — ص ٢٧٣ .

لم تجعل أسماءهم تنتشر كغيرهم . ولكن قد نرى تفسيراً أشد قبولا من هذا وهو أن بعضا من هؤلاء الرواة لم يكونوا فى البصرة أو الكوفة أو بغداد التى كانت تعتبر بمثابة المراكز العلمية فى ذلك الوقت ، وإنما كانوا من الرواة القاطنين فى أطراف الدولة الإسلامية خصوصاً إذا أضفنا إلى هذا أن العين ألف فى خراسان وقد علل بروانلتش هذا بأنه ربما يكون مذكوراً فى بعض النسخ دون البعض الآخر .

إسناد كتاب العين :

بجانب ما سقناه من المناقشة الطويلة لأوجه النظر المختلفة فإننا قد عثرنا على سلسلتين ذكر فيهما إسناد الكتاب بجانب ما ذكر فى أول مقدمته .

السلسلة الأولى :

وقد ذكرها ابن فارس فى أول المقاييس إذ قال : « أما كتاب العين للخليل بن أحمد فقد حدثنى به على بن إبراهيم القطان فيما قرأت عليه قال : أخبرنا أبو العباس أحمد بن إبراهيم المعدانى ، عن أبيه إبراهيم بن إسحاق عن بندار بن لزة الأصفهانى ، ومعروف بن حسان ، عن الليث ، عن الخليل » .

السلسلة الثانية :

وقد ذكرها السيوطى فى معرض الكلام على ذكر الآراء حول كتاب العين إذ قال[1] فائدة : روى أبو على الغسانى كتاب العين عن الحافظ أبى عمر ابن عبد البر ، عن عبد الوارث بن سفيان ، عن القاضى منذر بن سعيد ، عن أبى العباس أحمد بن محمد بن ولاد النحوى ، عن أبيه ، عن أبى الحسن على

---

(١) المزهر ص ٥٧ .

ابن مهدى ، عن أبى معاذ عبد الجبار بن يزيد ، عن الليث بن المظفر ابن نصر بن سيار ، عن الخليل » .

كيف وضعت الفكرة الأولى للعين

والآن لنوضح كيف وضع الخليل كتاب العين لعل هذا التوضيح يقفنا على الظروف الخاصة التى أحاطت بكتاب العين والتى اشتبهت على البعض حتى دعتهم إلى التشكك فى نسبة الكتاب .

لقد كان معاصرو الخليل من اللغويين يجمعون الكلمات الصعبة المعانى فى نظرهم فى كتيبات أو رسائل ليشرحوها وقد عرف هذا اللون من المفردات باسم الغريب . وقد كانت فكرة كل كتيب تدور حول مجموعة من الكلمات المتصلة بموضوع واحد لتبيان معناها .

أراد الخليل أن ينهج منهجاً جديداً فى هذا الميدان فوضع نصب عينيه تحقيق فكرتين : الأولى ؛ معالجة جميع مفردات اللغة أو بعبارة أدق جميع موادها وشرحها . الثانية وضع ذلك فى نظام يؤمن معه التكرار أو فوات بعض المواد .

وقد رأى أن الطريقة السائدة فى عصره وإن كانت مقبولة فى موضوعها إلا أنها لا تقبل فى شكلها ؛ إذ لو ألف على نظامها ألف رسالة ورسالة لم يؤمن التكرار ولم يتأكد من ذكر جميع المواد . وقد اعتنى اللغويون الأولون بالغريب فقط ولكن الخليل رأى أن يسجل كل مواد اللغة على طريقة رياضية :

والخليل كما نعلم استغل عبقريته فى الرياضة وعلم الأصوات اللغوية ، والقوانين الصوتية التى بنى عليها المهمل والمستعمل ، وحيث إن بعض أنواع المهمل يمكن حصرها فرأى أن يتبع نظاما يكشف له هذا وبطريقة المقابلة يمكن أن يهتدى إلى المستعمل :

الليث يصف طريقة الخليل :

لقد فكر الخليل فى تنظيم متحد يجمع كل الكلمات غير ذلك التنظيم المعنوى الذى تبناه معاصروه ، لقد فكر فوجد أن جميع الكلمات من حيث تركيبها الصوتى تتكون من أحرف الهجاء : ا . ب . ت ، العادية .

لقد ذكر بعض الرواة[1] أن الخليل لم يبدأ بالهمزة لتغيرها إلى مدة أو حذفها فى بعض المواد — ثم انتقل إلى الباء يبدأ بها ولكنه لما لم يجد سببا معقولاً ليتخذ الباء مبدأ عدل عن ذلك إلى الترتيب الصوتى .

ولكننا لا نميل إلى هذا الرأى فإن الطريقة الرياضية التى أمكن للخليل أن يحصر بها جميع مواد اللغة على الطريقة الصوتية كان يمكن أن يستعملها أيضا مع الأبجدية العادية ولا بد أن هناك سبباً أكبر من هذا .

ذلك هو أن ما تحكّم فى طريقته إنما هى القوانين الصوتية التى بها يعرف المهمل ويميز عن المستعمل . وبناء عليه فإن الترتيب الصوتى يكون من الناحية العملية أكثر أهمية من الترتيب العادى ، ولقد شغلت هذه المشكلة بال الخليل زمنا طويلا كما كان يشغله أيضا التفكير فى علم العروض . ولقد صور لنا هذا الانشغال تلميذه الليث : إذ يذكر لنا أن الخليل حين ورد عليه فى خراسان فاتحه فى تلك الفكرة التى كان من الصعب على العقل العادى أن يدركها « فجعلت أستفهمه ، ويصف لى ، ولا أقف على ما يصف ، فاختلفت إليه فى هذا المعنى أياماً ، ثم اعتل وحججت فرجعت من الحج فإذا هو قد ألف الحروف كلها على ما فى صدر هذا الكتاب » .

فكان أن رتب الخليل الأبجدية إلى مجموعات صوتية كما يلى :

ع ح ه غ — ق ك — ج ش ص — ص س ز — ط ت د — ظ ث ذ — ر ل ن — ف ب م — و ا ى .

---

(١) المزهر ص ٥٦ .

والتقسيم الصوتى إلى مجموعات لا يختلف كثيراً عما قرره العلم الحديث .

أما ترتيب المجموعات على هذا السلم ، وكذلك ترتيب بعض الحروف داخل المجموعة الواحدة فيختلف نوعاً ما عما قرره علم الأصوات . ومن يدرى لعله لو كان قد أتيح للخليل أن يشتغل فى معامل الأصوات التى يسرها لنا العصر الحديث لكان قد وصل إلى نتائج أدق من هذا . وإنا لنزداد إكباراً اله حين نعلم أنه قد سبقنا إلى ذلك بنحو اثنى عشر قرنا من الزمان .

ولقد كان ترتيب الخليل هذا مبنيا على أساس المخارج فقدم المجموعات الصوتية بحسب عمقها فى الحلق ثم تدرج إلى الحروف الشفوية ثم حروف العلة .

ولقد فطن الخليل إلى أن الهمزة أعمق الحروف مخرجاً ولكنه وجد من تغيرها سبباً فى عدها ضمن حروف العلة . وفطن أيضا إلى أن الهاء تليها ، ولكن الهاء ما هى إلا إرسال الهواء خارج الحلق . ولذا وجد أن العين أصلح حروف الحلق للبـــدء بها ــ ونضيف إلى هذا أن كلمة « العين » « عين » تعنى بجانب أنها حرف هجاء ــ العين الباصرة التى تستعمل كثيراً فى جوهر الشىء وكنهه ــ وقد رأى « لين » أن تكرار حرف العين يكوّن صوتا يشبه بعبعة الجمل وهذا من أهم الخصائص العربية (١).

وقد كانت الحاء تشارك العين فى نفس المخرج ولكن اختيار الخليل للعين دون الحاء ذكر له سبب هو « أن العين أنصع » أو ما يعبر عنه بعبارة أخرى هو أن العين مجهورة والحاء مهموسة .

وبناء على هذا أمكن للخليل أن يعرف بطريقته النظرية المهمل من المستعمل ثم من ناحية التطبيق نجد أنه لم يعثر على مواد ليملأ بها الأصل النظرى فذكر أيضا أنه مهمل . ولعل المثلث الذى رسمه ابن دريد فى مقدمة الجمهرة ووضع عند رءوسه الثلاث ثلاثة حروف مختلفة يتكون منها ست

---

(١) مقدمة كتاب « مد القاموس » للمستشرق لين .

كلمات ولعل هذا المثلث كان فى رأى الخليل دائرة كدائرة العروض هكذا :

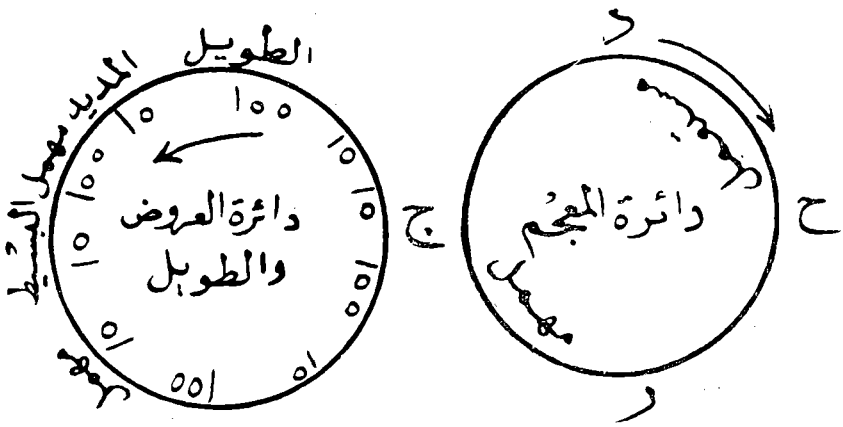

ويمكن إذا بدأ فى الرباعى مثلا بالدال وسار يميناً فإنه يحصل على « دحرج » وهو مستعمل، أما إذا سار شمالاً فإنه يحصل على دجرح وهو مهمل وهكذا . وهذا يشبه من بعض الوجوه دوائر البحر التى ابتكرها الخليل ، وإن المقارنة بين الدائرتين لترينا الشبه بين دائرة العروض وبين ما يمكن أن يسمى دائرة المعجم .

ومن هذا نرى أن نظرية المهمل والمستعمل فى العروض تشابه إلى حد كبير قرينتها فى كتاب العين — مما يدل دلالة قاطعة على أن مؤلف الاثنين واحد .

ونخلص من كل هذا إلى أن كتاب العين لا يمكن أن يكون من تأليف أحد غير الخليل ، بحيث إنه يكون من التجنى على الواقع أن نكتب على غلاف الكتاب اسماً غير اسم الخليل أو نضع فى فهارس المكتبات كتاب العين تحت اسم غير اسم الخليل .

وهذا لا يعنى مطلقاً أن الليث ليس له يد فى الكتاب ولكن ما أبداه الليث من مجهود لا يغير من تلك الحقيقة كما فطن لذلك الليث نفسه ، فلم يدّع

الكتاب لشخصه . ولا يصح أن تحملنا بعض الهنات الصغيرة فى الكتاب إلى عدم نسبته للخليل . فقد كانت فكرة الترتيب مسيطرة عليه إلى حد أن شغلت جميع وقته . ثم هى محاولة تعد الأولى من نوعها فلا بد أن نتوقع بعض التطور فيها فيما بعد ، كما نتوقع بعض التنقيح والتهذيب كذلك .

الكرملى وكتاب العين

لايمكن لباحث فى هذا الموضوع أن يترك الإشارة إلى رأى الأب أنستاس الكرملى فى هذه المسألة إذ كان له الفضل فى اكتشاف بعض النسخ قبيل الحرب العالمية الأولى والتى لم يعثر عليها فيما بعد .

فعند ما أعد العدة لطبع الكتاب نشر بحثا مطولاً فى مجلته : « لغة العرب » نشر فى عدد آب « أغسطس » سنة ١٩١٤ عرض فيه لتلك المشكلة ، ونود هنا أن نأخذ منه بعض النقاط ليتبين وجه الصواب فيها .

(١) ذكر الأب أنستاس أن الكتاب احتوى على عبارة « قال الخليل ، وسألت الخليل » واستنتج هو من ذلك أن السائل يكون غير المؤلف . وقد سبق أن أوضحنا أن هذه ظاهرة شملت المؤلفات العربية الأولى فقد كان عاديا جداً أن يرد اسم المؤلف فى تضاعيف الكتاب فى ذلك الوقت . والكرملى نفسه مع أنه معاصر حديث ، ومع تقدم أسلوب البحث العلمى قد ذكر فى هامش كتاب العين[1] اسمه أكثر من مرة ففى صحيفة ٩١ على سبيل المثال أورد بعض التعليقات اللغوية وختمها بقوله « قاله الأب أنستاس » ، وفى صحيفة ١١٣ ذكر فى الهامش تعليقا آخر وكرر فيها نفس الظاهرة حينما قال . « قالها الأب أنستاس مارى

---

(١) القسم الذى طبعه أنستاس فى بغداد .

الكرملى » . ومن يدرى لو أن الظروف ساعدته فى إتمام طبع الكتاب كله لكنا رأينا عشرات الأمثلة لتلك الظاهرة .

(ب) ذكر الكرملى من الأدلة على أن الكتاب ليس للخليل أن اللغويين المتقدمين اقتبسوا من العين على أنه لليث . ورداً على ذلك نقول إن بعضهم كصاحب اللسان والتاج اللذين ذكرهما الكرملى إنما نقلا ما نقلا عن طريق الأزهرى صاحب التهذيب وقد سبق أن أشرنا إلى أن الأزهرى هو أول من قال بأن الكتاب لليث ــ ولم لايذكر الأب أنستاس أن بعض المتقدمين مثل ابن فارس وابن دريد ، قد نقل عن العين على أنه للخليل . وشىء آخر لم يذكره الأب أنستاس وهو أن اللسان والتاج فيهما العبارات الآتية : « قال الليث ، قال الخليل ، قال فى العين » .

ولنبيّن ما سر هذا ؟ سره واضح جداً وهو أن صاحب اللسان والتاج حينما ينقلان عن الأزهرى يذكران عبارة « قال الليث » ودليلنا على ذلك أن هذا التعبير قد سبق فى كثير من الأحيان بعبارة . « قال الأزهرى » أما حين ينسبان القول للخليل فهما يقتبسان عن ابن دريد فى الجمهرة أو ابن فارس فى المجمل . وإذا عرفنا أن اللسان والتاج كان همهما استيعاب كل ما فى الكتب السابقة سهل علينا أن نفهم هذا الاختلاف فى ذكر المصادر التى رجعا إليها .

وإذا رجعنا إلى بعض هذه الكتب لنرى رأى مؤلفيها الصحيح فى كتاب العين فإننا نجد أنهم لا يرون أن الكتاب لليث وإنما قد يكون للخليل ابن أحمد .

أما صاحب لسان العرب فذكر فى مقدمته[1] الخلاف حول مؤلف الكتاب

---

(١) اللسان ص ٩ .

ونقل بعض الأقوال فيه دون أن يكون له رأى حاسم فى الموضوع .

واعتقد أننا بعد هذا لا يمكن أن نعتبر أن متأخرى اللغويين ومتقدميهم ـ كما يقول الأب أنستاس قد رأوا أن الكتاب لليث .

(ج) ذكر أيضاً فيما ذكر من الأدلة . أن ورود بعض الأسماء لرواة متأخرين عن الخليل فى كتاب العين مما يجعله لاينسب الكتاب للخليل .

وهذا أمر هين جداً فنحن نجد أن أغلب الكتب المؤلفة فى القرنين الثانى والثالث الهجريين قد عمّها هذه الظاهرة[1] . وتفسيره أن الوراقين قدعمدوا حين الكتابة إلى إضافة التعليقات التى كتبها بعض العلماء بالهوامش على أنها من صلب الكتب ثم جاء من بعدهم فنقلوها كما هى ، حتى أصبح من العسير التمييز بين ما أضيف وبين ما هو من نص الكتاب ، ولنقتبس هنا مثالاً من كتاب النوادر لأبى زيد تتضح فيه هذه الظاهرة[2] .

أورد أبو زيد هذا البيت على عادته فى شرح الغريب .

تهددنا وتوعـدنا رويدا متى كنا لأمك مقتوينا

وقد عقب هذا البيت بشروح وتفسيرات من رواة متأخرين جداً عن عصر أبى زيد . وأغلب هؤلاء الرواة مذكورون فى سلسلة الإسناد التى وردت فى أول الكتاب . أما ما ورد بعد هذا البيت فى كتاب النوادر : « قال أبو الحسن : القياس ، وهو المسموع من العرب أيضاً فتح الواو من (مقتوينا) ، فيكون الواحد مقتوى . فأما أبو العباس فأخبرنى أن جمع مقتوين عن كثير من العرب مقاتوة الخ » .

ومن هذا نرى أن الراوى الأخير فى السلسلة ويعتبر المخرج للكتاب

---

(١) سبق أن أوضحنا هذا فيما مضى .

(٢) النوادر ص ٢١٩ .

قد اقتبس عن راويين متأخرين عن المؤلف تفسيرين مختلفين للكلمة الواحدة . ومع هذا لم يؤخذ ذلك دليلا ضد أبى زيد ولم يسلبه أحد نسبة النوادر .

* * *

ثم انتقل الكرملى بعد ذلك إلى ذكر كيفية اكتشافه للمخطوطات ووصف كل منها فقال :

« أما أن الأدباء ظنوا أن كتاب العين ضاع أو فقد فهذا ما يتحصل من نصوص كتبهم تلميحاً وتصريحا . فصاحب كشف الظنون يصف هذا الكتاب نقلا عن هذا وذاك ولا يقول شيئاً من عنده كما يفعل فى وصف الكتب التى رآها بعينه — وقال صاحب كتاب اكتفاء القنوع بما هو مطبوع فى ص ٢٩٨ (الخليل بن أحمد صاحب كتاب العين المفقود) وكرر هذا القول فى ص ٣١٤ وذهب إلى فقده أيضاً علماء الأفرنج المولعين بحفظ آثار العرب ، وأتبعهم أيضاً فى هذا الرأى جرجى بك زيدان فى كتابه تاريخ آداب اللغة العربية (٢ : ١١٣) إذ يقول : (ولم يصل إلينا من كتاب العين إلاّ ما نقل عنه من كتب اللغة كالمزهر للسيوطى وكتاب النحو لسيبويه) . ثم قال فى ص ١٢٤ وبالجملة فإن كتاب العين تحفة من تحف الأدب وللخليل فضل كبير فى وضعه وللأسف أنه ضاع ! وقد كان موجوداً إلى القرن الرابع عشر الميلادى . ولا يبعد أن يعثر الباحثون على نسخة منه فى بعض المكاتب الخصوصية . » اهـ .

« البشرى بوجود الكتاب وببدء طبعه »[1]

« نبشر اليوم أبناء العرب كافة أن الشيخ كاظم أفندى الدجيلى وجد نسخة من هذا الكتاب فى كربلاء . ونسخة ثانية فى الكاظمية . وناسخا هاتين النسختين إيرانيان لا يحسنان العربية ولهذا جاءتا مغلوطتين مشوهتين وكلتاهما

(١) لا زال الاقتباس مستمراً عن الكرملى .

ناقصة فنسخة كربلاء ناقصة العبارة فى عدة مواد . وقد فعل الكاتب ذلك طلباً لنسخ الكتاب بسرعة فتصرف فى النقل تصرفاً غريبا بحيث أصبح طبعه على تلك النسخة طامة من الطوام وإهانة للمؤلف الذى تكبد له عرق القربة — وأما نسخة الكاظمية فينقصها ورقتان وفيها أغلاط لا تقل عدداً عن أغلاط نسخة كربلاء وإن كانت أغلاط هذه غير أغلاط تلك هذا والكاتبان مختلفان . والنسختان الآن متميزتان الواحدة عن الأخرى كما تشهد على ذلك أوهام كل منهما ، ولما رأينا هاتين النسختين بتلك الحالة استأنا غاية الاستياء لعلمنا أنه من البعيد أن يطبع مثل هذا الكتاب بتلك الصورة الشنيعة المشوهة القبيحة التى تصمه وصمة عار لا يمحوها سير الأدهار . وبقينا فى حيرة حتى طرفنا بنسخة كتبها عربى عارف باللغة وبالنسخ فحينئذ اطمأن قلبنا . وباشرنا بطبعه مستعملين هذه النسخ الثلاث وجل اعتمادنا على النسخة الثالثة فالثانية وهى نسخة كربلاء ؛ لأن الأولى وهى نسخة الكاظمية التى قابلنا عليها أوائل الكتاب وأوسطه وأواخره لما تحققنا نقصها وكثرة أغلاطها عدلنا عنها أيضاً وبقيت بأيدينا النسختان الأخريان .

« والكتاب يكون فى نحو ٢٥٠٠ صفحة فى خمسة أجزاء يحوى كل منها ٥٠٠ صفحة بحجم هذه المجلة وبالحرف الذى تراه فى هذا المثال وها نحن ندرج مثالاً من الكتاب : وقد فتحنا بابا للاشتراك وهو ٤ مجيديات للعراق وعشرين فرنكا للخارج وذلك عن كل جزء من أجزائه الخمسة وبعد الاشتراك يضاعف ثمنه للعراق وللخارج . ولا يبعث بالجلد إلاّ لمن يدفع قيمته سلفا ، وإلاّ لا يلتفت إلى اشتراكه أو طلبه — ويكون أغلب محتويات الجزء الخامس فوائد وتذييلات وفهارس ، وذلك لأن هذا الكتاب مرتب ترتيباً فلسفياً على مخارج الحروف مبتدئا بالعين وهو أول ح ف يخرج من الإنسان من أقصى حلقه إذا أراد التلفظ بحروف الهجاء . وهذا الترتيب الفلسفى لايفيد الباحث شيئاً ، إذ وقته ثمين ويجب أن يعثر على

ضالته بدون عناء عظيم وبدون إضاعة الوقت سدى . ولهذا سنضع فهارس للمواد لتمكن الباحث من إرشاده إلى ضالته بسرعة وذلك على النظام المألوف الميسور . هذه كلمتنا فى هذا الديوان ومن له خاطر بصدده فليبده لنا لنكون له من الشاكرين[1]» .

وبعد أن عرضنا لكل تلك الآراء نجد أنفسنا مقتنعين بصحة نسبة الكتاب للخليل بن أحمد ولكنا مع هذا لاننفى مجهود الليث فيه كلية إذ هو الراوى الأول للكتاب بل ومخرجه أيضاً .

وليس الاعتراف بالمجهود يعنى نسبة الكتاب إليه كما رأى الكرملى . وقد رجعنا إلى القسم المطبوع من العين فى مكانين مختلفين : —

الأول : المجمع اللغوى المصرى . الذى كان الأب أنستاس عضوا فيه وليس للكتاب غلاف يحمل اسم المؤلف وإنما وجدنا وريقة مكتوباً فيها بالقلم الرصاص وموضوعة فى أول الكتاب وملصقة به وفيها :

كتاب العين

لليث بن ســـيار

تلميذ الخليل بن أحمد

طبع فى بغداد فى مطبعة الآداب سنة ١٩١٣

ولم يصدر منه إلاّ ١٤٤ صفحة والحرب ضاقت دون إتمامه وعنى بنشره وتعليق الحواشى عليه الأب أنستاس مارى الكرملى .

توقيع : الأب أنستاس الكرملى

الثانى : دار الكتب المصرية . وفيها نسخة كالسابقة وليس على

(١) إلى هنا ينتهى الاقتباس عن الكرملى من مجلة لغة العرب .

الغلاف اسم للمؤلف وبالرجوع إلى الكتالوج ج ٢ ص ٢٨ وجد وصف لكتاب العين كما يلى :

« كتاب العين : اختلف الناس فى مؤلفه فقيل إنه الخليل بن أحمد ابن عمر بن تميم الفراهيدى البصرى . وهو أول كتاب أيضاً فى اللغة وسمى كذلك لابتدائه بحرف العين » ثم استطرد فى وصف منهج الكتاب وترتيبه . ولعل اللجنة التى كان موكولاً إليها مراجعة الكتب لذكرها فى القائمة المطبوعة الخاصة بدار الكتب لما لم تجد على الكتاب اسم المؤلف بحثت فى المراجع المختلفة ثم اهتدت إلى الرأى الذى ذكرته فى القائمة .

أما فى المجمع فكان من السهل عليهم أن يرجعوا للأب أنستاس نفسه ليسألوه الرأى . وهذا أيضاً ما حداهم إلى أن يضعوا كتاب العين فى القائمة تحت اسم الليث بن سيار وقد كنا ننتظر من هيئة كبرى كالمجمع أن تعنى بتحقيق تلك المسألة قبل أن تذكر الكتاب فى القائمة ، ولكن لعلهم تخلصوا من تلك التبعة بأن وكلوا للأب أنستاس أن يكتب اسم المؤلف على عهدته فإن رأى الأب أنستاس فى ذلك لا يمثل رأى المجمع وإنما هو رأيه الفردى . وإلاّ فقد وجدنا من بين أساتذة المجمع الأفاضل من لا يرى رأى الأب أنستاس .

« مخطوطات العين »

لقد ذكر الكرملى أنه كان قد عثر على ثلاث نسخ مختلفة فى العراق ولكن للأسف لم يمكننا للآن الحصول على إحدى النسخ الثلاث — ولعل الظروف تواتينا بإحداها مع مواصلة البحث إن شاء الله .

نضيف إلى هذا أننا عثرنا على ثلاث نسخ أخرى إحداها فى متحف بغداد كتبت بخط السماوى سنة ١٩٣٦ ، والأخرى فى ألمانيا ، كانت فى برلين

حتى الحرب العالمية الثانية ثم نقلت إلى مكتبة جامعة توبنجن وتاريخها سنة ١٩٢٧ ، وقد أمكننا تصوير كل منهما على « مايكرو فيلم » .

والثالثة فى الكاظمية وتاريخها ١٠٥٤ هـ وقد صورناها أيضاً .

* * *

وإليك وصفاً موجزاً لكل من هذه المخطوطات :

(ا) مخطوطة بغداد :

تقع هذه المخطوطة من جزءين كل جزء يكون أربعمائة صحيفة وهى بالخط الفارسى وفى كل صحيفة خمسة وعشرون سطراً وبكل سطر حوالى خمس عشرة كلمة . والخط رغم إمكان قراءته إلاّ أنه ليس تام الوضوح . ويبدأ الجزء الثانى بأول حرف القاف . وكل جزء قد رقمت فيه الصفحات ترقيماً مستقلاً الأول إلى ص ٤٠٠ وابتدأ الثانى بصحيفة رقم واحد وانتهى إلى ص ٣٩٧ وفى آخر الكتاب نجد هذه العبارة .

« وقد نجز النصف الثانى من الكتاب المسمى بالعين المنسوب[1] إلى الخليل ابن أحمد ، بقلم أقل العباد ذى المساوى محمد بن الشيخ طاهر المعروف بالسماوى فى النجف فى اليوم التاسع والعشرين من صفر الخير سنة ألف وثلثمائة وخمس وخمسين من الهجرة ، على نسخة كثيرة التحريف والتصحيف قاسيت فيها عرق القربة وصححت فيها حسب الجهد حامداً لله مصلياً على رسوله وآله » .

وبهذه المناسبة نرى أن ابن النديم قد ذكر أن بعض الوراقين أحضر كتاب العين من خراسان فى خمسين جزءاً حيث دفع فيها ابن دريد ٥٠ ديناراً وكان ذلك حوالى ٢٥٠ هـ .

---

(١) كلمة المنسوب هنا لم يقصد بها السماوى الشك فى نسبة الكتاب لأنه فى أول الجزءين ، الأول والثانى كتب العنوان « كتاب العين فى اللغة للخليل بن أحمد » .

وهنا أيضاً نستدل من كلام ابن النديم على أن كتاب العين ألف أولاً فى خراسان . وهذا يتفق مع ما ذكرناه – كما يفسر لنا أيضاً كيف أن اللغويين فى البصرة والكوفة لم يطلع أكثرهم عليه .

وقد قدر الكرملى أن طبع الكتاب يستغرق ٢٥٠٠ صحيفة فى خمسة أجزاء .

ويظهر أن كلمة « أجزاء » ليست مستعملة فى معناها الذى نفهمه اليوم فقد كان أصحاب الطبقات يعبرون مرة بكلمة جزء وثانية بكلمة دفتر وأخرى بكلمة كراسة وهم يعنون من كل ذلك معنى القسم فقط . ولذلك لا غضاضة على السماوى أن ينسخ الكتاب فى جزءين . ولا على الكرملى أن يقدر له خمسة أجزاء .

(ب) نسخة ألمانيا :

لقد نقلت هذه النسخة عن مخطوطة أخرى فى بغداد حديثاً أيضاً بإشراف المستشرق ريتر . وتكوّن هذه النسخة جزءين أيضا ، يبدأ الثانى قبل بداية حرف القاف بقليل . ويظهر أن الناسخ لاحظ أنه من غير المناسب أن يبدأ الجزء وسط الكلام على حرف من الحروف . ولذا نجده قد اعتذر عن ذلك فى أول الجزء الثانى حيث يخبرنا بأنه نصّف الكتاب فى هذا الموضع « ولكل امرئ أن يفعل بملكه ما يشاء » .

أما أرقام الصفحات فتكون وحدة غير مجزأة فيبدأ الجزء الثانى برقم ٤١٢ وينتهى برقم ٨٤٢ . وكل صحيفة فى تلك النسخة تشمل ٢٥ سطراً بكل سطر أربع عشرة كلمة فى المتوسط ، وهى بخط النسخ الواضح – وفى نهايتها نجد تعليق ناسخها هذا آخر كتاب اللغة الموسوم بالعين وقد وقع الفراغ من كتابته تحريراً فى ساعة التاسع من نهار الأربعاء سابع وعشرون من جمادى الأولى سنة ١٣٤٦ هـ وعلى مهاجرها آلاف التحية ، بقلم الآثم محمد على بن المرحوم

عبد الحسين الأصفهانى الكاظمى . كما عقب ذلك بذكر من كتبت له النسخة فقال : الحمد لله أولا وآخراً على إتمام هذا الكتاب المستطاب فى االغة العربية المسمى بالعين . نسخ هذا الكتاب المسمى بالعين للإمام الخليل بن أحمد النحوى على نسخة فى خزانة حضرة العلامة حجة الإسلام السيد حسن الصدر ، دامت بركاته ، بحسب الآمر حضرة العلامة السيد محمد على هبة الدين الشهرستانى رئيس مجلس التميز الشرعى ووزير المعارف الأسبق فى العراق فى تاريخ ٢٧ جمادى الأولى سنة ١٣٤٦ هـ .

(حـ) نسخة الكاظمية :

وهى أصل لنسخة ألمانيا ، وهى فى ملك السيد حسن الصدر بالكاظمية وقد سافرت إلى بغداد عام ١٩٥٩ ، وصورتها من مكتبة آل الصدر بالكاظمية وهى تقع فى ٤٣٢ لوحة ، وخطها نسخ واضح فيه بعض التشكيل .

وجاء الفرق القليل فى عدد الأوراق بينها وبين سابقتها نظراً لاختلاف الناسخ وفى آخرها عبارة مقتضبة هى :

هذا آخر كتاب اللغة الموسوم بالعين وقد وقع الفراغ من كتابته سنة أربع وخمسين بعد الألف وكاتبه إبراهيم الأصفهانى .

هذا ، وقد أعاننا الله على تحقيق الجزء الأول من كتاب « العين » وهو الآن فى المطبعة . ونأمل أن يفسح الله لنا بفضلة من العمر والوقت ما يمكننا على إنجازه ، وإنجاز غيره من المعجمات العربية التى لا تزال مخطوطة لم تطبع حتى الآن .

أهم المراجع العربية

أحمد أمين	ضحى الإسلام	ط	القاهرة	١٩٣٨
ابن الأنباري	نزهة الألباء	ط	فينا	١٨٩٥
» »	الإنصاف	ط	ليون	١٩١٣
السيوطي	المزهر	ط	القاهرة	١٣٢٩ هـ
صديق خان	البلغة	ط	استانبول	١٨٧٩
القفطي	إنباه الرواة	ط	القاهرة	١٩٥٠
ياقوت	معجم الأدباء	ط	ليدن	١٩٢٧

المخطوطات

الزبيدي : مختصر العين الإسكوريال ٥١٧

كراع : المنضد المتحف البريطاني رقم or. 3667.

المراجع الإفرنجية

J. A. L. Brockelmann, Leiden 1937

Der Islam, Leipzig, 1926

J.R.A.S. Centenary Sup. 1924

Le Monde Oriental, Leipzig, 1920

Encyclopaedia of Islam Eng. Ed.

Z.D.M.G. (Per) by 1851

مقدمة كتاب العين

فى اللغة العربية

للخليل بن أحمد

تحقيق

الدكتور عبد الله درويش

رموز النسخ

ظ : نسخة الكاظمية وهى الأصل .

د : نسخة بغداد .

س : نسخة الأب أنستاس .

بسم الله الرحمن الرحيم

بحمد الله نبتدئُ ونستهدى[1] ، وعليه نتوكّلُ ، وهو[2] حَسْبنا ، ونعم الوكيلُ . هذا ما ألّفَهُ الخليلُ بنُ أحمدَ البصريُّ — رحمة الله عليه[3] — من حروفِ : أ ب ت ث مع ما تكمَّلَتْ[4] به ، فكانَ[5] مدارَ كلامِ العربِ وألفاظِهم ، ولا[6] يخرج منها عنْه شيءٌ . أرادَ أن يعرفَ به العربَ فى أشعارِها وأمثالِها ومُخاطباتِها وألاّ[7] يشذَّ عنْه شيءٌ من ذلك . فأعمل فكرَه فيه فلم يمكنْه أن يبتدئَ التأليفَ من أوّل أب ت ث ، وهو الألف ؛ لأن الألف حرف معتل ، فلما فاته الحرْفُ الأولُ كره أن يبتدئَ بالثانى — وهو الباءُ — إلا بعد حُجّة واستقصاءِ النظر ؛ فدبّر ونظر إلى الحروف كلِّها وذاقها فصيّر أوْلاها بالابتداءِ أدخلَ حرفٍ منها فى الحلق[8] .

وإنما كان ذَوَاقُه إيّاها أنه كان يَفْتَح فاه بالألِف ثم يُظْهِر الحرفَ ، نحو : أبْ ، أتْ ، أحْ ، أعْ ، أغْ ، فوجَدَ العينَ أدْخَلَ الحروفِ فى الحَلْق ، فجعلَها أوّلَ الكتاب ثم ما قَرُب منها[9] الأرفع فالأرفع ، حتّى أتى على آخرِها وهو الميم .

فإذا سُئِلْتَ عن كلمة وأردتَ أن تعرف موضعَها ، فانْظر إلى حروفِ الكلمة ، فهما وجدت منها واحدا فى الكتاب المقدم[10] فهو فى ذلك الكتاب .

---

(١) د : بالله نستهدى . (٢) د : فهو . (٣) الترحم ليس فى د .
(٤) د : مما تكلمت به العرب فى مدار كلامهم وألفاظهم .
(٥) به فكان : مثبتة من س . (٦) د : فلا . (٧) د : بحيث لا يشذ .
(٨) د : فى الخلق : ساقط من س . (٩) منها : ساقطة من د .
(١٠) يقصد بالكتاب المقدم الباب الذى عقده للحرف المعين من حروف الهجاء وسماه كتابا ، مثل كتاب العين وكتاب الهاء وكتاب الحاء الخ .

وقلَّب الخليلُ أ ب ت ث فوضعها على قدْر مَخْرجها من[1] الحلق . وهذا تأليفه[2] : —

ع ح ه خ غ — ق ك — ج ش ض — ص س ز — ط د ت — ظ ث ذ — ر ل ن — ف ب م — و ا ى همزة[3] .

قال أبو مُعَاذٍ ، عبدُ الله بنُ عائذ : حدّثنى الليثُ[4] بنُ المُظَفَّر ابن نَصْر بن سيّار عن الخليل بِجَمِيع ما [فى[5]] هذا الكتاب .

قال ليث[6] : قال الخليل : —

كلامُ العرب مَبْنِىٌّ على أرْبعة أصنافٍ : على الثُّنائىّ والثُّلاثىّ والرُّباعىّ والخماسىّ .

والثنائى على حرفين نحو : قَدْ ، لَمْ ، هَلْ ، لَوْ ، بَلْ ، ونحوه من الأدوات والزَّجْر[7] .

والثلاثىّ — من الأفعال — نحوُ قولك : ضَرَبَ ، خرَجَ ، دخَلَ — مبنىّ على ثلاثة أحرف . ومِنَ الأسماء — نحو ، عُمَرَ وجَمَلٍ وشَجَرٍ[8] مبنى على ثلاثة أحرف .

والرباعىّ من الأفعال نحو : دحْرَجَ ، هَمْلَجَ ، قَرْطَسَ — مبنىٌّ

---

(١) د : فإن الخليل وضع حروف ا ب ت ث على قدر مخرجها من الحلق .

(٢) د : وهذا تأليفها وترتيبها ووضعها .

(٣) وضعنا الفاصل (—) بين كل مجموعة متحدة المخرج بحسب نظام الخليل ، كما سيبينه بعد .

(٤) ظ ، د : ليث .

(٥) فى ساقطة من ظ ، د وقد أثبتناها من س . (٦) س : الليث .

(٧) س : الأدوات والحروف ، د : الأدوات الأخر — ولعله يقصد بالزجر : أسماء الأفعال مثل : صه .

(٨) د : عمر جمل شجر ، س عمرو وجمل .

على أربعة أحرف . ومن الأسماء ، نحو : عَبْقَسَ ، وعَقْرَب ، وجُنْدَب ، وشبِهه .

والخماسيُّ من الأفعال نحوُ : اسحَنْكَكَ[1] ، واقشعرّ ، واسحَنْفَر ، واسبَكَرّ ، مبنيٌّ على خمْسة أحرف . ومن الأسماءِ نحو : سفَرْجَل ، هَمَرْجَل وشَمَرْدَل ، وكَنَهْبَل ، وقرعبَل ، وعَقَنْقَل ، وقبَعْثَر[2] ، وشبِهه .

والألف التى فى « اسحنْكَكَ واقشعرّ واسحنْفَر واسبكرّ » ليست من أصل البناء ، وإنما أدْخِلَتْ هذه الألفاتُ فى الأفعالِ وأمثالِها من الكلامِ[3] لتكونَ الألِفُ عِماداً ، وسُلَّماً لِلِّسان إلى حَرْف البناء[4] ، لأن حرْفَ[5] اللسان [حين] يَنْطَلِقُ بِنُطْقِ السَّاكِنِ من الحروف يحتاج[6] إلى ألفِ الوصْلِ ؛ إلاّ أنَّ دَحْرَجَ وَهَمْلَجَ ، وقَرْطَس لم يُحْتَجْ فِيهِنَّ إلى الألِف لِتكونَ السُّلَّمَ فافْهَمْ إن شاء اللهُ . .

اعْلَم[7] أن الرَّاء فى « اقشعرّ واسبكرّ » هُما رَاءَانِ ، أدْغِمَتْ واحِدَةٌ[8] فى الأخرى . والتّشديدُ علامَةُ الإدْغام .

قال الخليل : وليس للعرب بِنَاءٌ فى الأسماء ولا فى الأفْعال أكثرُ

---

(١) ظ ، د : « اسحنكل » ولم ترد هذه اللفظة فى القواميس باللام فى آخرها . وقد أثبتناها هنا من س ، ومعناها اشتداد الظلمة والسواد .

(٢) د : حذف واو العطف من بين هذه الألفاظ الخماسية .

(٣) ظ : من الكلمة . (٤) ظ : الحرف البناء ، س : الحرف الساكن .

(٥) لفظة (حرف) ساقطة من د .

(٦) هذه العبارة مضطربة فى النسخ فى الأصل : لأن حرف اللسان ينطلق بنطق الساكن من الحروف . . . وفى د : لأن اللسان لا ينطق بالساكن من الحروف فيحتاج . . . وفى س : لأن حرف اللسان لا ينطلق بالساكن من الحروف فيحتاج . . .

(٧) س ، د : وأعلم . (٨) س ، د : الواحدة .

من خَمْسةِ أحْرُف . فَمَهْما وجَدْتَ زِيادَةً على خمسة أحْرف فى فعل واسْمٍ[1] ، فاعلمْ أنَّها زَائِدةٌ على البناء ، ولَيْسَتْ من أصْلِ الكلمة ، مثل قَرَعْبَلانة . إنما أصْلُ بِنائها : قَرَعْبَل ، ومثل : عَنْكَبُوت . إنما أصل بنائها : عَنْكب .

وقال[2] الخليلُ : الاسمُ لا يكون أقلَّ من ثلاثَةِ أحْرُف . حرف يُبْتَدَأ به ، وحرف يُحْشى[3] به الكلمةُ ، وحرف يُوقَفُ عليه ، فهذه ثلاثَةُ أحرف . مثل : سَعْد وعُمرَ ونحوِهما من الأسماء[4] . بُدِئَ بالعين[5] وحُشِيَتْ الكلمةُ بالميم ووُقِفَ على الرّاء . فأمَّا زيْدٌ وكيْدٌ فالياءُ متعلقة[6] لا يُعْتَدَّ بها .

فإن صيَّرْتَ الثنائىّ مثل : قَدْ وهلْ ولوْ – اسْماً أدخلت عليه التشديد ، فقلت : هذه لَوٌّ مكتوبةٌ ، وهـذه قَدٌّ حسنة الكِتْبَةِ ؛ زِدْتَ واواً على واو ، ودَالاً على دَال . ثم أدْغَمْتَ وشَدَّدْتَ . فالتشديد علامَةُ الإدْغَام والحرفُ الثَّالِثُ كقول أبى زبيد الطائى[7] .

ليت شِعْرِى وأيْنَ مِنِّىَ لَيْتٌ إنَّ لَيْتاً وإنَّ لوًّا عَنَاءُ

فشدَّد « لوًّا » حين جعَلَه اسْمًا .

قال ليثٌ : قلت لأبى الدُّقَيش : هلْ لَكَ فى زُبْدٍ ورُطَبٍ ؟ فقال : أشَدُّ الْهَلِّ وأوْحاهُ[8] . فشدّد اللام حين جَعَله اسْما .

---

(١) د : أو اسم .
(٢) د : قال .
(٣) ظ « يحشا » .
(٤) د : من الأسماء ، ساقطة .
(٥) د : بدئت الكامة بالعين وحشيت بالميم .
(٦) لعله يقصد أنها معتلة فالياء ليست من الحروف الصحيحة فهذه الكلمات معتلات الوسط تذكر فى المعتل ولا تذكر فى باب الثلاثى الصحيح .
(٧) س : ابن زيد الطائى ، د : أبو زيد .
(٨) د ، ظ : وأوخاه – وفى س : شد (الهل) وواخه . وفى اللسان مادة (هـ ل ل) =

قال : وقد تجيء أسماءٌ لفظها على حرْفين وتمامُها ومعناها على ثلاثة أحرُف . مثل : يَدٌ ودَمٌ وفَمٌ . وإنما ذهب الثالثُ لِعِلَّةِ أنها جاءت سواكِنَ وخَلَفها[1] السكونُ ، مثل : بأيْدٍ وبِأدْمٍ في آخر الكلمة . فلما جاء التنوينُ ساكنًا اجتمع ساكنان ، فثبتَ التنوينُ لأنَّه إعرابٌ وذهب الحرفُ الساكنُ . فإذا أردْت معرفتَها فاطلُبْها في الجمْع والتصغير ، كقولهم : أيْدِيهم في الجمع ، ويُدَيَّةٌ في التصغير . ويوجد أيضا في الفعل كقولهم : دَمِيَتْ يَدُه . فإذا ثنّيت الفم قلت : فَمَوانِ ، كانت[2] تلك الذاهِبَةُ من الفم الواوَ .

قال الخليل : بل الفم أصله « فَوَهٌ » كما ترى . والجميع أفْوَاه . والفعل فَاهَ ، يَفُوه ، فَوْهًا[3] ، إذا فَتَح فَمَه للكلام .

قال أبو أحمد حمزة بن زرعة : قوله : يَدٌ ، دخلها التنوينُ ، وذكر أنّ التنوين إعراب . قلت[4] : بل الإعراب الضَّمَّةُ والكسرةُ التي تلزم الدال في « يَدٌ » في وجُوهه[5] ، والتنوين [يُمَيِّزُ بين[6]] الاسم والفعل[6] . ألا ترى أنَّك تقول : « تَفْعَلُ » لم تجد التنوينَ يدخلها . وألا ترى أنك تقول : رأيت يَدَك ، وهذه يَدُك ، وعجبت

= قال ابن برى : قال ابن حمزة : روى أهل الضبط عن الخليل أنه قال لأبى الدقيش أو غيره : هل لك فى تمر وزبد ؟ فقال : أشد الهل وأوحاه » ا هـ . وفى رواية أسرع هل وأوحاه » ومعنى أوحاه : أسرعه . والمراد هنا أن أبا الدقيش استعمل « هل » اسما فشدد لامها .

(١) ظ ، د : وخلفتها . (٢) د : وكانت .

(٣) فوها : ساقطة من د . (٤) مكانها بياض بالأصل ، وفى د : إعراب بل الإعراب . وقد أثبتناها هنا من س .

(٥) فى جميع النسخ فى وجوه .

(٦) هنا بياض بالأصل . وفى س : والتنوين يوجد فى الاسم والفعل وقد أثبتناها هنا من د .

من يَدِك[1] ، فتُعْرِبُ الدّال وتطرح[2] التنوينَ . ولو كان التنوينُ هو الإعرابَ لم يَسْقُطْ . فأمّا[3] قولُه « فَمَوَانِ » فإنّه جعلَ الواوَ بَدَلاً من الذّاهبة . فإن الذاهبةَ هى هاءٌ وواوٌ . وهُما إلى جَنْبِ الفاء[4] . ودخلَتِ الميمُ عِوَضًا منهما[5] . والواوُ التى فى « فموين » دخلَتْ بالغَلَط[6] . وذلك أنّ الشاعر يرى ميما قد[7] أدْخلَتْ فى الكلمة ، فيرى أن السّاقِطَ من « الْفَمِ » هو بَعْدَ الميم فيُدْخِلُ الواوَ مكان ما يظنُّ أنه سقطَ منه ويغلط[8] .

قال الخليلُ : اعلم أنّ الحروفَ الذّلَقَ والشفويّةَ ستّةٌ ، وهى : ر ل[9] ن ، ف ب م ، وإنما سُمِّيت هذه الحروفُ ذَلَقًا لأن الذلاقة فى المنطق إنما هى بطَرَف أسَلَةِ اللِّسان والشفتين وهما مَدْرَجَتَا هذه الأحْرُفِ الستّة ، منها ثلاثةٌ ذَلِيقَةٌ[10] : ر ل ن ، تخرج[11] من ذَلَق اللسان من طرف غَارِ الفم[12] . وثلاثةٌ شفويّةٌ : ف ب م ، مخرجها من بين الشّفتين خاصّةً . لا تعمل الشفتان فى شىء من الحروف الصِّحاح إلا فى هذه الأحْرُف الثلاثة فقط ، ولا ينطلق طَرَف اللسان إلا بالرّاء واللامِ والنونِ . وأمّا سائرُ الحروف فإنها ارتفعَتْ فجرت فوق ظهر اللسان من لدن باطن الثنايا ، من عند مخرج التاء إلى مخرج الشين ،

---

(١) ظ : وهذه وعجبت من يدك .
(٢) د : ولم تجد التنوين . (٣) د : وأما .
(٤) د : الواو .
(٥) يقصد أن أصل بناء الفم : ف و ه ، كما هو وارد فى المعاجم . فحذفت الهاء من آخرها ثم الواو التى هى عين الكلمة حيث لاتحتمل الإعراب لاعتلالها . ثم عوض عنهما الميم .
(٦) أى الجمع بين العوض والمعوض .
(٧) س : وذلك يرى أن الشاعر رأى ميما . . وفى د : وذلك أن الشاعر رأى ميماً قد أ خلت فى الكلمة فرأى أن الساقط من الفم هو بعد الميم فأدخل الواو مكان ...
(٨) د : وتلفظ . (٩) ط ، س : وإن .
(١٠) س : ذو ليقة . (١١) ظ : يخرج .
(١٢) من طرف غار الفم : ساقط من د .

بين الغَار الأعلى وبين ظهر اللسان . ليس للسان فيهنّ عملٌ[1] أكثرُ من تحريك الطبقتين بهن ، ولم ينحرفن عن ظهر اللسان انحراف الراء واللام والنون . وأما مَخْرج الجيم والقاف والكاف فمن بين عكدة اللسان وبين اللَّهاة في أقصى الفم . وأما مخرج العين والحاء والهاء[2] والخاء والغين فالحلق . وأما الهمزة فمخرجها من[3] أقصى الحلق ، مهتوتة مضْغوطة . فإذا رُفِّه عنها لانت ، الياء والواو والألف ، عن غير طريقة الحروف الصحاح .

فلما ذلقت الحروف الستة ، ومَذَل بهنّ اللسان وسَهُلت عليه في المنطق كثرت في أبنية الكلام ، فليس شيءٌ من بناء الخماسيّ التام يعرى منها أو من بعضها .

قال الخليل : فان وردت عليك كلمة رباعيَّةٌ أو خماسية مُعرَّاةٌ من حروف الذلق أو الشفوية[4] ولا يكون في تلك الكلمة من هذه الحروف حرف واحدٌ أو اثنان أو فوقَ ذلك فاعلم أن تلك الكلمة مُحْدَثَةٌ مبتدَعة ، ليست من كلام العرب ؛ لأنك لست واجِداً من يسمع في[5] كلام العرب كلمةً واحدة[6] رباعيةً أو خماسية إلا وفيها من حروف الذَّلَق والشفوية واحدٌ أو اثنان أو أكثر .

قال ليث : قلت : فكيف تكون الكلمة المولَّدةُ المبتدَعة غير مشوبة بشيء من هذه الحروف ؟ فقال نحو الكشعثج والخضعثج والكشعطج[7]

---

(١) ظ : أعمل . (٢) لفظة الهاء ساقطة من د ، س .

(٣) د : وأما مخرج الهمزة فمن أقصى الحلق .

(٤) زادت نسخة ظ : ولا يكون في تلك الكلمة من هذه معراة من حروف الذلق والشفوية .

(٥) سقطت كلمة (في) من س ، ظ .

(٦) س : لأنك لست ترى أو تسمع واحداً من العرب ينطق بشيء من كلام العرب فيه كلمة رباعية الخ .

(٧) د : الكشعثج والخضعثج والكشعضج ، ظ : والكسعظج .

وأشباهِهِنّ ، فهذه مولدات لا تجوز فى كلام العرب ؛ لأنه ليس فيهن شىء[1] من حروف الذلق والشفوية فلا تقبلن[2] منها شيئاً ، وإن أشبه لفظَهم وتأليفَهم ، فإنّ النَّحارِيرَ[3] مِنْهُمْ رُبَّما أدخلوا على النّاس ما ليس من كلام العرب إرادةَ اللَّبْسِ والتعنت .

وأما الْبِناءُ الرباعىّ المُنْبَسِطُ[4] فإنّ الجمهور الأعْظَمَ منه لا يَعْرَى من الحروف الذلق أو مِنْ بعضها ، إلا كلماتٍ نحواً من عشر[5] جئن شواذّ .

ومن هذه الكلمات : العسجَدُ والقسطوس والقُداحس والدعشوقة والدهدعة والزهزقة . وهى مفسَّرة فى أمكنتها .

قال أبو أحمد حمزة بن زرعة : هى[6] كما قال الشاعر :

ودعْشوقةٍ فيها ترنَّح دَهْشَمٌ تَعَشَّقْتُها لَيْلاً وتَحتِى جُلاَهِقُ

وليس فى كلام العرب دعْشُوقَةٌ ولا جُلاَهِق ، ولا كلمة صَدْرها (نر)[7] ، وليْس فى شىء من الألسن طَاءٌ غيرُ العربية ، ولا من لسانٍ إلا التَّنُّور فيه تَنُّورٌ[8] .

وهذه الأحرف[9] قد عرِيْنَ من الحروف الذَّلَق ، كذلك نزرن

---

(١) شىء : ساقطة من ظ ، د . (٢) د ، س : منها .

(٣) هذه العبارة مضطربة فى كل النسخ ، ففى ظ : فإن التجار يرميهم ربما أدخلوا . . . وفى د : فإن المجاورين بينهم ربما . . . وفى س : فإن دخيل النجار يرميهم بها إذ ربما . وهذا كله تحريف . والمنقول عن الخليل فى « الصاحبى » ، لابن فارس : فإن النحارير منهم ربما أدخلوا . . . وهو ما أثبتناه هنا .

(٤) يريد به ما يقابل المضاعف مثل : فلفل وسبسب وفدفد .

(٥) ظ : من عشى : س : من عشرين هى كالشواذ . (٦) س : هن .

(٧) يشير إلى أن كلمة (نرجس) ليست بعربية الأصل .

(٨) يقصد بالألسن : اللغات . والمراد اللغات التى كان يعرفها علماء العربية فى ذلك الوقت البعيد ، مثل الرومية ، والفارسية ، والسريانية .

(٩) د ، س : الحروف .

فقلَلْنَ . ولولا ما لزمهنَّ من العين والقاف ما حسن على حال . ولكن العين والقاف لا تدخلان فى بناء إلا حسَّنتاه ، لأنهما أطلق الحروف وأضْخمها جَرْسًا .

فإذا اجتمعا أو أحدهما فى بناء حَسُن البناءُ لنصاعتهما . فإن كان البناء اسما لزمته السين أو الدال مع لزوم العين أو القاف ؛ لأن الدال لانت عن صلابة الطَّاء وكزازتها وارتَفَعَتْ عن خُفُوت التاء ، فحسنت . وصارت حال السين بين مخرج الصاد والزاى كذلك . فمهما جاء من بنَاء اسم رباعى مُنْبَسط معرًّى من الحروف الذلق والشفوية فإنه لا يعرى من أحد حرفى الطلاقة أو كليهما[1] ومن السين والدال أو أحدهما ، ولا يضر ما خالفه من سائر الحروف الصُّتُم[2] . فإذا ورد عليك شىءٌ من ذلك فانظرْ ما هو تأليف العرب . وما ليس من تأليفهم ، نحو ؛ قعثج ونعثج ودعثج ، لا ينسب إلى العربية[3] . ولو جاء عن ثقة لم يُنْكر ولم يسمع به ولكن ألفناه[4] ليعرف صحيح بناء كلام العرب من الدخيل .

وأمّا ما كان من رباعى منبسط معرى من الحروف الذلق حكايةً مُؤَلَّفَةً نحو « دهداق » وأشباهِه فإن الهاء والدال[5] المتشابهين مع لزوم العين والقاف مستحسن[6] .

وإنما استحسنوا الهاء فى هذا الضرب للينها[7] وهشاشتها . وإنما هى نَفَسٌ لا اعْتِياص فيها[8] .

---

(١) ظ : كلاهما .

(٢) الحروف الصمّ : ما ليست من حروف العلة ولا من حروف الحلق .

(٣) ظ ، س ، د : إلى عربية .

(٤) ظ : ولكن البناء ليعرف صحيح بناء كلام العرب من الدخيل ، س : ولو جاء عن ثقة لم ينكر كلامه إذ لم يسمع بها ، ولكن عانينا هذا العناء ليعرف .

(٥) مكانها بياض بالأصل ، وفى س : نحو دقداق وشياه فإن بناء المتشابهين .

(٦) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ومن د .

(٧) فى الأصل : للينها .

(٨) يقصد أن يضع استثناء للقاعدة السابقة ويمكن تلخيصها هكذا : « يغتفر فى الرباعى=

وإن كانت الحكاية المؤلَّفةُ غيرَ مُعراة من الحروف الذلق فلن يضر ، كانت فيها[1] الهاء أوْ لا ، نحو : للغطمطة[2] وأشباهها . ولا تكونُ الحكاية مُؤَلَّفة حتى يكونَ حرفَ صدْرِها مُوَافِقًا لحرف صَدْرِ ما ضُمَّ إليها ، فى عجزها[3] فكأنهم ضموا إلى « د ه ، دق[4] » فألفوهما ، واولا ما جاء فيهما من تشابهُ الحرفين ما حسُنَتْ الحكايةُ فيهما لأنَّ الحكاياتِ الرباعياتِ لا تخلو من أن تكون مُؤَلَّفة[5] [أو] مضاعفة .

فأما المؤلَّفَةُ . فعلى ما وصَفْتُ لك وهو نزر قليل . ولو كان الهُعْخع من الحكاية لجاز فى قياس بناء تأليف[6] العرب ، وإن كانت الخاء بعد العين[7] ، لأن الحكاية تحتمل من بناء التأليف ما لا يحتمل غيرها ، لما يُريدون من بيان[8] المحكىّ . ولكن لما كان الهُعْخُع ، فيما ذكر بعضُهم اسما خاصا ، ولم يكن بالمعروف عند أكثرهم وعند أهل البصر والعلم منهم ، فَرُدَّ ولم يقبل[9] .

= خلوه من حروف الذلق إذا كانت الكلمة حكاية للصوت » والحكاية كما سيوضحها الخليل على نوعين : مضاعفة وتكون بتكرار المقطع مثل دقدق ، ومؤلفة أى بغير تكرار مثل دهداق » .

(١) د : فى الهاء .

(٢) الغطمطة : صوت اضطراب البحر . وقد وردت هذه الكلمة محرفة فى ظ العطمط ، بالعين المهملة ، وهو تحريف ، وفى د العصمطيط ، وفى س الدقدقة . وهذا غير مناسب لأن كلامه الآن فى الحكاية المؤلفة المشتملة على أحد حروف الذلق ، أما الحكاية المضاعفة ، مثل الدقدقة فستأتى .

(٣) ظ د : وفى عجزها ، أما س فقد فصلت أكثر فقال فيها : وعجزها موافق لحرف عجز ما ضم إليها .

(٤) أى من مثل كلمة الدهداق .

(٥) س : مؤلفة مضاعفة ، ظ ، د : مؤلفة ومضاعفة .

(٦) د : قياس تأليف العرب .

(٧) يشير بهذا إلى القانون الصوتى الذى سيذكره فى باب العين ، من عدم اجتماع (ع ، خ) فى كلمة عربية أصيلة .

(٨) س : من تبيان .

(٩) س : ولا سيما عند أهل البصر والعلم منهم رد فلم يقبل .

وأما الحكايةَ المضاعَفةَ فإنهـا بمنزلة الصَّلْصَلَة والزَّلزلة[1] [فهم][2] يتوهمون فى حِسِّ الحركة ما يتوهّمون[3] فى جَرْس الحكاية نفسها فتدخل فى وجه التصريف[4] .

والمضاعف : فى البيان[5] : ما كان حَرْفًا عَجزُه مثلَ حرفى صدره . وذلك بناءٌ يستحسنه العرب[6] فيجوز فيه من تأليف الحروف جميع[7] ما جاء من الصحيح والمعتل ، ومن الذلق والشفوية[8] والصُّتْم . ويُنسَبُ إلى الثنائى لأنه يضاعفه[9] . ألا ترى الحكاية أن الحاكى[10] يحكى صلصلة اللجام فيقول : صَلْصَلَ اللجامُ . وإن شاء قال : صلْ ، مخففة مرة اكتفاء بها[11] ، وإن شاء أعادها مرتين ، أو أكثر من ذلك فيقول : صل صل صل . يتكلف من ذلك ما بدا له .

ويجوز فى الحكاية[12] المضاعفة مالا يجوز فى غيرها من تأليف الحروف . ألا ترى أن الضّاد والكاف إذا أُلِّفَتا فبدئ[13] بالضاد فقيل :

---

(١) ظ : الصلة والزلزلة ، س : الصلة فيتوهمون ، د : بمنزلة ضم الصلة والزلة .

(٢) ظ : مكانها بياض ، س : فيتوهمون وفى حـ بمنزلة العتلة والزلزلة .

(٣) س : يتوهمونه ، ظ : فى أحسن الحركة يتوهمون فى جرس يصوت (ثم بياض) الحكاية فى وجه التصريف ، د : فى جرس الحكاية فى وجه التصريف .

(٤) زاد فى س : فيكون منها المضاعف طلبا لمزيد البيان ثم ختم الفقرة ، وبدأ فقرة أخرى بقوله : أما ما كان حرفا عجزه الخ . ولكن خلط الفقرتين .

(٥) مكانها بياض فى ظ . (٦) بياض فى ظ ، وفى س : العرب .

(٧) لفظة جميع ساقطة من د .

(٨) ظ : بياض ، وساقطة من د وفى س : والشفوية . (٩) د : مضاعفة .

(١٠) س : ألا ترى فى نقل حكاية جرس اللجام أن الحاكى .

(١١) د : مخففة مرة وإن شاء أعادها .

(١٢) ظ ، وس : حكاية .

(١٣) س : إذا التقتا بدى ، د . إذا التقتا اقتداء بالضاد .

ضك كان تأليفا لم يحسن فى أبنية الأسماء والأفعال ، إلا مفصولاً بين حرفيه بحرف لازم أو أكثر من ذلك نحو : الضَّنْك والضَّحِك وأشباه ذلك . وهو جائز فى المضاعف نحو الضكضاكة من النساء . فالمضاعف جائز فيه كل غَثٍّ وسمين ، من المفصول[1] الأعجاز والصدور وغير ذلك . والعرب تشتقُّ فى كثير من كلامها أبنيةً للمضاعف[2] من بناء الثلاثىّ المثقَّل بحرفى التضعيف[3] ، ومن الثلاثىِّ المعتل ، ألا ترى أنهم يقولون « صلَّ اللجامَ يَصِلُّ صَلِيلاً » فلو[4] حكيتَ ذلك قلت (صَلَّ) تمد اللام وتثقلها ، فقد خففتها فى « الصَّلْصَلِ » فالمثقَّل مدّ ، والمضاعف ترجيعٌ ، وتخفيف . فلا تنفذ للتصريف حتى تتضاعف أو تثقل على[5] ما وصفتُ لك . ويجىء منه كثير[6] مختلفا ، نحو قولك « صَرَّ الجندُب وصرْصَر الأخطَبُ صرصرة » فكأنهم توهّموا فى صوت الجندب مدًّا وفى صوت الأخطَب ترجيعا ونحو ذلك كثير مختلف .

وأما ما يشتقون من المضاعف من بناء الثلاثى المعتل ، فنحو قول العجاج :

ولو أنَخْنا جَمْعَهم تَنَخْنَخُوا

وقال فى بيت آخر :

لِفَحْلِنا إن سَرَّه التَّنَوُّخُ

---

(١) س : الفصول والأعجاز .

(٢) د ، ظ : بالمضاعف .

(٣) يقصد الثلاثى فى اصطلاح النحويين الذى يشمل مثل (صل) أما المعاجم التى اتبعت طريقة الخليل فإنها تعد نحو هذا المثال ثنائيا مضاعفا .

(٤) س : فإن .

(٥) هذه العبارة مضطربة فى س : وقد خففتها فى الصلصلة لصوت اللجام فالثقل مد والتضاعف ترجيع وتخفيف فى إعادة فلا تتعد للتصريف فهو يضاعف للتخفيف أو يثقل للامتداد على ما وصفت لك . أما ، ظ ، ففيها بياض متقطع .

(٦) س : شىء كثير مختلفا فى الموضع .

ولو شاء قال فى البيت الأول (ولو أنخنا جمعهم تنوخوا) ولكنه اشتق (التنوخ) من تنوخناها فتنوخت ، واشتق (التنخنخ) من أنخناها ، لأن (أناخ) لما كان مخففا حسن إخراجُ الحرف المعتل منه ، وتَضَاعُفُ الحرفين الباقيين فى (تَنَخْنَخْنَا تَنَخْنُخاً) ، ولما ثقل قويت الواو فثبتت فى التنوخ فافهم .

قال الليث : قال الخليل . .

فى العربية تسعةٌ وعشرون حرفا : منها خمسة وعشرون حرفا صحاحا لها أحْيَازٌ ومخارج ، وأربعة هوائية وهى : الواو والياء والألف اللينة [والهمزة][1] .

فأما الهمزة فسمِّيت حرفا هوائيا لأنها تخرج من الجوف ، فلا تقع فى مَدْرَجَةٍ من مدارج اللسان ، ولا من مدارج الحلق ، ولامن مدراج اللهاة ، إنما هى هاوية فى الهواء فلم يكن لها حيِّز تنسب إليه إلا الجوف . وكان يقول كثيرا : الألف اللينة والواو والياء هوائية . أى أنها فى الهواء .

قال الخليل : — فأقصى الحروف كلِّها العين ثم الحاء ولولا بحة فى الحاء لأشبهت العين لقرب مخرجها من العين ، ثم الهاء ولولا هتة فى الهاء ، وقال مرة « ههّة » لأشبهت الحاء ؛ لقرب مخرج الهاء من الحاء ، فهذه ثلاثة أحرف فى حيز واحد . بعضها أرفع من بعض ثم الخاء والغين فى حيز واحد ، كلهن[2] حلقيّة ، ثم القاف والكاف لَهَوِيّتان ، والكاف أرفع ، ثم الجيمُ والشين والضّاد فى حيِّزٍ واحد ، ثم الصاد والسين والزاء فى حيز واحد ، ثم الطاء والدال والتاء فى

---

(١) زيادة يتقضيها السياق .

(٢) يريد كل المجموعة السابقة وهى ع ح ه غ خ .

حيّز واحد . ثم الظاء والذال والثاء فى حيّز واحد . ثم الراء واللام والنون فى حيّز واحد . ثم الفاء والباء والميم فى حيّز واحد . ثم الألف والواو والياء فى حيز واحد . والهمزة فى الهواء لم يكن لها حيز تنسب إليه .

قال الليث : قال الخليل :

فالعينُ والحاء والهاء والخاء والغين حَلْقيّة ، لأن مبدأها من الحلق . والقاف والكاف لهويتان ، لأن مبدأهما من اللهاة . والجيم والشين والضاد شجرية لأن مبدأها من شجر الفم أى مفرج الفم ، والصاد والسين والزاء أسَلِيَّة ، لأن مبدأها من أسلة اللسان وهى مستدق طرف اللسان . والطاء والتاء والدال نِطْعِيَّةٌ[1] . لأن مبدأها من نِطْع الغار الأعلى ، والظاء والذال والثاء لثوية ، لأن مبدأها من اللثة . والراء واللام والنون ذلقية ، لأن مبدأها من ذلق اللسان وهو تحديد طرفى ذلق اللسان ، والفاء والباء والميم شفوية ، وقال مَرَّة شفهية لأن مبدأها من الشفة . والياء والواو والألف والهمزة هوائية فى حيز واحد ، لأنها لا يتعلق بها شىء فنسب كل حرف إلى مدرجته وموضعه الذى يبدأ منه .

وكان الخليل يسمى الميم مُطْبَقةً لأنها تطبِق الفم إذا نطق بها ، فهذه صورة الحروف التى ألّفت منها العربية على الولاء وهى تسعة وعشرون حرفا : — ع ح ه خ غ ، ق ك ، ج ش ض ، ص س ز ، ط د ت ، ظ ذ ث ، ر ل ن ، ف ب م ، فهذه الحروف الصحاح . و ا ى ء[2] فهذه تسعة وعشرون حرفا . منها أبنية كلام العرب .

---

(١) فى حـ : نطقته .

(٢) فى النسخ الأربع « الهمزة » ولكن أثبتناها هنا هكذا « ء » لتتناسب مع تعداد بقية الحروف قبلها .

قال الليث : قال الخليل :

اعلم أنّ الكلمة الثّنائية تتصرف على وجهين نحو « قد ، دق ، شد ، دش » والكلمة الثلاثية تتصرف على ستة أوجه ، وتسمى مسدْوُسَةً وهى نحو : ضرب ضبر ، برض بضر ، رضب ربض . والكلمة الرباعية تتصرف على أربعةٍ وعشرين وجها ، وذلك أن حروفها وهى أربعة أحرف تضرب فى وجوه الثلاثى الصحيح وهى ستة أوجه فتصير[1] أربعة وعشرون وجها ، يكتب مستعملها ، ويلغى مهملها ، وذلك نحو عبقر (يقوم منه[2]) :

عقرب ، عبرق ، عقبر ، عبقر ، عرقب ، عربق ، قعرب ، قعبر ، قبعر ، قبرع ، قرعب ، قربع ، رعقب ، رعبق ، رقعب ، رقبع ، ربقع ، ربعق ، بعقر ، بعرق ، بقعر ، بقرع ، برعق ، برقع[3] .

والكلمة الخماسيّة تتصرف على مِائةٍ وعشرين وجها ، وذلك أن حروفها ، وهى خمسة أحرف تضرب فى وجوه الرباعى وهى أربعة وعشرون حرفا ، فتصير[4] مائة وعشرين وَجْهًا ، يستعمل أقلّه ويلغى أكثره . وهى نحو : — سفرجل ، سفرلج ، سفجرل ، سجفرل ، سجرلف[5] ، سرفجل ، سرجفل ، سلجرف[6] ، سلرفج ، سلفرج ، سجفلر ، سرفلج ، سجفرل ، سلفجر ، سفلجر ، سرجلف ، سجرلف ، سرلجف ، سجلفر وهكذا .

---

(١) ظ فصارت فى الموضعين .

(٢) هذه العبارة ساقطة من د و هى فى ظ (تقول منه) .

(٣) فنرى منها ست كلمات مبدوءة بالعين ، وستا بالقاف ، وستا بالراء ، وستا بالباء .

(٤) أى من الناحية النظرية . (٥) فى كل النسخ سجرلف .

(٦) فى النسخ رسفجل ولكنا نلاحظ أن بقية الكلمات مبدوءة بالسين ومن الناحية النظرية يمكن ابتداع أربع وعشرين كلمة مبدوءة بالسين وأربع وعشرين بالفاء ، ثم مثلها بالراء ثم مثلها بالجيم ثم مثلها باللام . فيكون المجموع مائة وعشرين كلمة نظرية .

وتفسير[1] الثلاثىّ الصحيح أن يكون ثلاثةَ أحرف ولا يكون فيها واو ولا ياء ولا ألف فى أصل البناء ؛ لأن هذه الحروف يقال لها حروف العلل . فكلما سلمت كلمة على ثلاثة أحرف من هذه الحروف فهى ثلاثى صحيح ، مثل : ضرب ، خرج ، دخل . والثلاثى المعتل مثل : ضرا ضرِى ضرُو ، وخلا خلِى خلُو لأنه جاء[2] مع الحرفين [الصحيحين[2]] ألف أو واو أو ياء فافهم .

قال الخليلُ : بدأنا فى مؤلفنا[3] هذا بالعين[4] ، ونضم إليه ما بعده حتى نستوعب كلامَ العرب : الواضح والغريب ، وبدأنا الأبنية بالمضاعف ؛ لأنه أخفُّ على اللسان وأقرب مأخذاً للمتفهّم .

---

(١) فى ظ و س : « وتقسيم » .
(٢) س : جامع الحرفين .
(٢) زيادة للإيضاح .
(٣) ظ ، س : « فى المؤلفات من العين » .
(٤) ظ و س : « وهو أقصى الحروف » .